

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



ISSN 2311-5181 DOI Prefix:10.33685/1316 العام الثالث عشر - العدد 126 - أبريل 2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.د. جمال بلكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

DOI Prefix:10.33685/1316

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة عالميا تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 02، الجزائر)

د. بوطي محمد نور الدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)

د. جهان محمد إبراهيم (كليات عنيزة الأهلية، المملكة العربية السعودية)

د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر)

د. يوسف جاب الله (جامعة المدية، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)

اللجنة العلمية:

أ.د. أبكر عبد البنات آدم (جامعة بحري، السودان)

د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)

د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)

د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2، الجزائر)

د. علة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)

د. محمد البشير رازقي (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس)

د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة جيرسون، تركيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

أ.د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)

د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية)

د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)

د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)

د. فاتن عددي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر)

د. مزاراة نعيمة (جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2)

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

6

- الافتتاحية 07
- الجامعة وخدمة المجتمع: إسهامات جامعة المغتربين في تطوير منهج المشروع الوطني السوداني؛ عثمان حسن عثمان (جامعة المغتربين، السودان) 09
- البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: دراسة المنهجية الأخلاقية نحو مقارنة تكاملية بين الإنسان والآلة؛ قسم السيد الطيب محمد قسم السيد (جامعة الخرطوم، السودان) 27
- انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء؛ بلببوز لامية (جامعة 8 ماي 1945 قالة، الجزائر) 43
- الديمقراطية التشاركية ومبدأ الشرعية في فلسفة يورجن هابرماس؛ بوشعيب ضاري (مختبر اللوغوس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني، المغرب) 59
- دور أساليب المعاملة الوالدية في تعزيز الصحة النفسية للمراهق؛ بوزربية سناء (جامعة الشادلي بن جديد الطارف، الجزائر) - لكحل وهيبية (جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر) 85

الافتتاحية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلامُ على أشرف المرسلين، سيّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

يصدر العدد 126 من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية حاملا مجموعة من الدراسات التي تلامس قضايا راهنة في الفكر والمجتمع والتربية والبحث العلمي، يجمع هذا العدد بين الانشغال بأسئلة التنمية وخدمة المجتمع، ومراجعة أدوار الجامعة في بناء المشروع الوطني، وبين التفكير في التحولات المنهجية والأخلاقية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على البحث العلمي المعاصر.

كما يتناول آثار سوء التكيف الأسري في التحصيل الدراسي للأبناء، إلى جانب مقارنة فلسفية للديمقراطية التشاورية ومبدأ الشرعية في فكر يورغن هابرماس. كما يضم العدد دراسة حول دور أساليب المعاملة الوالدية في تعزيز الصحة النفسية للمراهق، بما يفتح المجال أمام قراءة تربوية ونفسية لأحد أهم تحديات التنشئة الاجتماعية.

ويعكس هذا التنوع حرص المجلة على احتضان البحوث التي تربط المعرفة الأكاديمية بقضايا الإنسان والمجتمع، وتمنح الباحثين فضاء علميا للحوار والتحليل والمساءلة، كما يؤكد العدد أهمية المقاربات متعددة التخصصات في فهم التحولات الاجتماعية والتربوية والفكرية، خاصة في سياق تتداخل فيه رهانات الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والتقنية، والدولة.

وتأمل هيئة التحرير أن يشكل هذا العدد إضافة علمية نافعة للباحثين والمهتمين، وأن يساهم في تعميق النقاش حول قضايا العلوم الإنسانية والاجتماعية، بما يخدم المعرفة، ويعزز حضور البحث العلمي في معالجة إشكالات الواقع.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / أ.د. جمال بلكاي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

الجامعة وخدمة المجتمع: إسهامات جامعة المغتربين في تطوير منهج المشروع الوطني السوداني
**University and Community Service: The contributions of Al-Mughtaribeen University
to the Development of the Sudanese National Project Approach**

د. عثمان حسن عثمان (جامعة المغتربين، السودان)

DR. Osman Hassan Osman (Al-Mughtaribeen University, Sudan)

9

Abstract:

This study is based on the work of the National Forum for Thought, Development, and Peace at the University of Al-Mughtaribeen (Sudan), which was presented through a series of seminars on the Sudanese national project. These efforts represent an attempt by the university to contribute to finding scientific solutions to the challenges facing society.

The research sought to focus on compiling the visions and ideas discussed in those seminars and organizing them into a coherent framework to develop a methodological tool for the national project. This tool aims to assist researchers in studying the Sudanese reality from a national perspective grounded in cultural specificity and its distinct internal conditions, using the scientific method.

The study succeeded in outlining the methodological features of the national project, including defining and establishing its foundations and criteria, regulating its choices and conceptual tools, as well as identifying the horizons of its approaches and indicators of national recovery.

Accordingly, the research concludes that these contributions can fill a significant gap that has long posed a challenge to Sudanese thought over decades. This is because they clearly identify issues that should form a basis of consensus among Sudanese people issues that should not be disputed, and that deserve respect and legal protection. The transdisciplinary approach was therefore the optimal choice for the research in formulating this vision through an integrative methodology.

مستخلص:

يستند هذا البحث إلى أعمال المنتدى القومي للفكر والتنمية والسلام بجامعة المغتربين/السودان التي قدمها عبر سلسلة ندوات حول المشروع الوطني السوداني، في محاولة من الجامعة للإسهام في إيجاد حلول علمية للتحديات التي تجابه المجتمع.

10

حاول البحث تركيز اهتمامه على تجميع الرؤى والأفكار التي وقفت عندها تلك الندوات، ونظمها في نسق مركب لتطوير أداة منهجية للمشروع الوطني تساعد الباحثين على دراسة الواقع السوداني من منظور وطني يستند إلى الخصوصية الثقافية وفق شروطها الذاتية المتميزة باستخدام المنهج العلمي.

استطاع البحث رسم ملامح منهجية للمشروع الوطني تمثلت في التعريف وتحديد أسس ومعايير المشروع الوطني وضبط خياراته وأدواته المفاهيمية فضلا عن تحديد أفق مقارباته ومؤشرات التعافي الوطني.

وبالتالي خلص البحث إلى أن تلك الإسهامات يمكن أن تسد فجوة كبيرة ظلت تمثل تحديا للفكر السوداني على مدى عقود، لأنها أشارت بوضوح إلى القضايا التي ينبغي أن تكون محل اجماع السودانيين ولا يختلف عليها، وتحظى بالاحترام وحمايتها القانون. وكانت المقاربة العبر- مناهجية الخيار الأمثل للبحث لصياغة التصور باستخدام المنهج التكاملي.

الكلمات المفتاحية: المشروع الوطني، الثقافة العالمية، الأعراف.

مقدمة:

سنحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على سلسلة الندوات المهمة التي عقدها المنتدى القومي للفكر والتنمية والسلام بجامعة المغتربين/الخرطوم خلال الفترة من فبراير 2022م إلى فبراير 2023م قبيل اندلاع الحرب، والتي انعقدت تحت عنوان المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة وغطت محاورا متعددة أثرتها جهود أكاديميين من مدارس مختلفة، وممارسين في ضروب المعرفة المختلفة في الأدب، الفلسفة، السياسة، الاجتماع، والصحافة وغيرها.

انبنى هذا العمل على جهود سابقة ابتدرها المنتدى منذ العام 2016م، شخّصت الأزمة وحصرتها في الشخصية السودانية، وتمثلت تلك الجهود في كتاب الشخصية السودانية: المكونات والمؤثرات والسمات تأليف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، وكتاب صراعات الهوية والحروب الأهلية الدائمة في السودان تأليف الدكتور إسحق علي محمد 2021م، وكتاب من سلطة الهوية إلى نص التمثيل: قراءة نقدية لممارسات فكرية في السودان تأليف الدكتور عثمان حسن عثمان 2022م، وأخيراً كتاب: لماذا تخلفنا عن ركب الدول المتقدمة (دراسة الحالة السودانية 1965 – 2018م)؟ تأليف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن في جزأين الأول: تباين مكونات المجتمع السوداني وافتقارها للانسجام والتناغم صدر 2023م. والجزء الثاني قيد النشر.

تتجه الأعمال التي نحن بصددنا من مسيرة المنتدى إلى البحث عن الحلول وعن كيفية النهوض بالسودان واللحاق بركب الأمم المتقدمة، ورسم معالم منهجية للمشروع الوطني ستكون هادية للبحث الذي يفضي إلى التعافي الوطني وبناء الدولة الوطنية الحديثة. وتكتسب المحاولة التي نعزم إنجازها أهميتها في كونها تحاول تجميع الأفكار والرؤى التي أنتجتها أعمال سلسلة الندوات وتقديمها على هيئة تصور تركيب يبرز معالم المنهج العلمي الذي يمكن أن يزود الباحثين بأطر نظرية ملائمة لدراسة الواقع السوداني ومقارنته وتتعزز فرص تقديم المقترحات الملائمة لحل المشكلات ورسم آفاق المستقبل، اعتماداً في المقاربة على الرؤية العبر مناهجية المستندة إلى المنهج التكاملي لمعالجة الجزئيات المتكثرة التي تكشف في ثنايا مبادرة جامعة المغتربين حول المشروع الوطني السوداني.

1. خلفية تاريخية:

جاءت فكرة المنتدى القومي للفكر والتنمية بجامعة المغتربين استشعاراً من الجامعة بأهمية دورها الطليعي في التفاعل الإيجابي الخلاق مع قضايا المجتمع، جنباً إلى مهامها العلمية والأكاديمية والمعرفية الأمر الذي يعزز استكمال رسالة الجامعة بالمشاركة الإيجابية في عمليات التنمية ونهضة المجتمع والأمة والإنسانية. لهذا أقامت الجامعة هذه المنصة لتوفر فرصة لأبناء السودان جميعاً من مفكرين، باحثين، مثقفين، أكاديميين وساسة بمختلف مشاربهم الفكرية، والاجتماعية لقيادة حوار علمي موضوعي بناءً حول الشخصية السودانية، وقضايا البلاد المختلفة ذات الصلة على نحو يمكن من تخطي المشكلات الموروثة، ودعوتهم للمشاركة بفكرهم متجردين عن المواقف المسبقة، وخلافاتهم الفكرية، والثقافية التي أقيمت بالبلاد من اللحاق بركب الأمم الراقية

المتحضرة، وللإسهام في استكمال بناء الأمة السودانية الآمنة المستقرة الموحدة المتحضرة التي يتطلع إليها أبناء السودان جميعاً.

وفرت جامعة المغتربين منبراً فريداً ومتميزاً أتاح مجالاً خصباً لتلاقح الأفكار، والخبرات بين كافة الاتجاهات، والمدارس حول الشخصية السودانية، وعمليات إعادة بنائها بالبحث والدراسة، ووفق المناهج العلمية الحديثة والمعاصرة، وبما تنعكس ثمراته خيراً على هذا البلد وأهله في أكثر من اتجاه، وبزيادة الرصيد المعرفي، والإنتاج العلمي حول الذات الحضاري ودراستها دراسة رصينة بالمناهج الملائمة، وتقديم المقترحات والتوصيات الناجعة لحلها حلاً جذرياً وبما يحقق المصالح القومية للوطن.

ونجحت في استنهاض السمات الإيجابية للشخصية مثل الاعتدال، التسامح، قبول الآخر، التعاون، التكافل، التأزر، النخوة، المروءة، والشهامة.. إلخ والتخلص مما علق بالشخصية السودانية من سمات سلبية أخذت تطفو على السطح مثل نقص الولاء والانتماء للوطن، وتضخم الأنا، ورجسية الذات، وشيوع الانتماءات والولاءات والمصالح الضيقة: الشخصية، والعائلية، والعشائرية، والقبلية، والجهوية، وعدم الاهتمام بقيمة الزمن، وعدم الاكتراث للعهود والوعود، والاتكالية، والتواكل، والتفاعس، والمحاكاة والتقليد.. إلخ إلى جانب السعي إلى تخفيف مظاهر الغلظة البادية على الشخصية وتلطيفها باكتساب المفردات الراقية ممتلئة المضامين الإنسانية، وإدخالها في قاموس التعامل اليومي الجاري في صور احترام الآخر وتقديره، والترفع عن الصغائر، واحترام الذات والاعتزاز بها "1"، كل ذلك وغيره أسهم في تحديد أهم أهداف المنتدى في الآتي:

.نشر ثقافة السلام والسلم العام والتصالح والتراضي ومناهضة القبليّة والطائفية والجهوية.

.بحث قضايا المجتمع والتاريخ ودراستها بموضوعية وتجرد وتعميق الوعي بها.

.تحقيق الوحدة الوطنية ولم الشمل الوطني وتعزيز قيم الارتباط بالوطن والإعلاء من شأنه عن طريق

الحوار الموضوعي البناء والتراضي بين كافة قطاعات الشعب السوداني ومكوناته المختلفة.

.تعميق أواصر التواصل بين الأجيال ومختلف صور التنوع، عبر أنشطة ووسائل متنوعة.

.الحفاظ على القيم والسمات الإيجابية المميزة للسودانيين والعمل على صونها والارتقاء بها.

¹ عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. الشخصية السودانية المكونات والمؤثرات والسمات الخرطوم. جامعة المغتربين 2011م.

.إعادة بناء الشخصية السودانية استنادا إلى معطيات البحث العلمي والحقائق الواقعية"¹.

ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى أن ثوابت جامعة المغتربين التي ذكرت في دليل الطالب توجي من البداية لتواحيدها من قضايا الوطن الكبيرة التي تعمل على تحقيقها، والتي تستمدتها من ثوابت الوطن التاريخية والحضارية والثقافية ومقاصد الشريعة الإسلامية، والتي تحض جميع العاملين فيها على الالتزام بها والعمل الجاد والمخلص لتحقيقها لمصلحة الفرد والمجتمع والأمة والولاء لهما"²، وبالتالي فإن الرؤية التي قامت عليها الجامعة حاولت أن تجعل منها إضافة متميزة للتعليم العالي في السودان وليست مجرد جامعة أخرى انضمت للركب.

2. تعريف المشروع الوطني:

يقوم المشروع الوطني على فلسفة ورؤية في الحرية والتقدم والسلام والتنمية والعدالة لصالح الدولة والمجتمع، وعلى استراتيجية عملية ذات طبيعة استشرافية تجسد تلك الرؤية والطموح؛ فإنه يتحول كذلك إلى برنامج عمل حكومي ومدني متكاملة ومنسجم ومتواصل في الزمن، لا يخضع لتقلبات الظروف السياسية، أو كبت الميول الطبيعية نحو النقد والتنافس الشريف.

يستند التعريف إلى تاريخ بذرة المشروع الوطني ويستوعبها في طورها الأول عند محمد أحمد المحجوب، وحمزة الملك طمبل، وأحمد خير المحامي، ومحمد عمر بشير، وزين العابدين الهندي، وأبو القاسم حاج حمد والذين تحدثوا عن أشواق الفكرة الجامعة وعن كيفية الوصول إلى مشروع مشترك بين السودانيين يؤسس منظومة للحياة متسقة ومتفق عليها من شأنها الإسهام في تنمية البيئة وتنمية الإنسان، لكنها لم توفق في الخلوص لتعريفات دقيقة ومنضبطة في حقل اشتغالها بسبب تأثير الإيديولوجيا والصراع الحزبي.

وباستلهاهم تلك الفكرة يمكن أن يعرف المشروع الوطني بأنه خلاصة لخطابات تضع تصورات لنظم الحياة المختلفة في السودان من تعليم وتربية، واقتصاد وتجارة، وقانون وسياسة، وصناعة وزراعة... إلخ، ينتجها عقل سوداني مستقل مسقط عنه التأثيرات التاريخية للاستعمار وتأثيرات الاستلاب للمدارس الفلسفية أو الفكرية المهيمنة، ويستوحي العقل من واقعه الخاص وقيمه القائمة على الشمول والراهنية والاستشراف والاستقلالية

¹ مطوية المنتدى القومي للفكر والتنمية والسلام، جامعة المغتربين 2016م.

² دليل الطالب الجامعي. أمانة الشؤون العلمية، جامعة المغتربين، 2011م. ص 4/3

والمبدئية والواقعية، وكيفية إيجاد التعريف للاقتصاد الوطني والقانون الوطني وغيرها، وعندئذ ينتقل الفكر السوداني من خانة المشافهة التي عرف بها إلى الكتابة والفعل"¹.

3. فلسفة المشروع الوطني:

يقوم المشروع الوطني السوداني الذي يتبناه منتدى الفكر والتنمية والسلام بجامعة المغتربين على فلسفة بناء العقل الكلي بتفعيل جميع مكوناته بما فيها المكان (الجغرافية)، وكلّ الرواسب والمكونات لما قبل الدولة وما يتطلبه من تطوير علاقتها مع المكان ليكون الناتج مكوناً متطوراً في علاقته مع المكان الكلي. يكون الدين كلياً، والعرف مكانياً كلياً، والثقافات الجزئية ثقافات مكانية كلية، وبالتالي انتقال العرف (المحلي، الجزئي) من القبلية إلى الخريطة الكلية للدولة أي الانتقال من القبيلة إلى الدولة، وتندرج في إطار نموء السيطرة العالمية المفروضة لذا جاء المجتمع السياسي بوصفه أمراً واقعا وتطور تدريجيا وتلقائيا على المدى التاريخي ونجد أن هذه المرحلة الانتقالية في بناء الدولة أي مرحلة الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، ولم يستكمل هذا الانتقال على الصعيد الحضاري والثقافي العام والسياسي على الرغم من أن نظام الدولة يستمد كثيرا من نسقه وقوته من جوانب وبني حدائية متداخلة، لذا لم ينتقل المجتمع نفسه من مجتمع إثني قبلي إلى المجتمع المدني، ويلاحظ برغم توفر عناصر الدولة والمتمثلة في وجود سلطة ذات سيادة وشعب وإقليم تبدو شخصية الدولة ووظيفتها الحقيقية في عملية التفاعل العميق بين تلك المكونات بما يحقق إثراء ونماء المجتمع وتحقيق تطلعاته المشروعة، ظلت تلك الوظيفة مفقودة في حالة تسيد اللا دولة. فإن المشروع الوطني بوصفه فلسفة للبناء الوطني والتعافي يقوم على التوازن بالانتقال من الجزء إلى الكل مع مراعاة البعد الزمني، والعلاقة بالمكان وبالوعي وبالفكر المنجز طبقا للشروط الاجتماعية والتاريخية"².

هذا هو المنهج المطلوب لبناء الدولة وبناء المجتمع، ونظام الاقتصاد، والعدالة وأجهزتها، والسياسة والعلاقات الخارجية... إلخ أي كل ما نحتاجه لقيام الدولة بمعناها الحديث. وبطبيعة الحال يتطلب هذا إعداد البيئة الفكرية والثقافية والتعليمية وغيرها بالصورة المناسبة والتي تجعل مخرجات التعليم بصورة أساسية تساعد في بناء هذا المشروع بوجود جيل واعى مزود برؤية معمقة إزاء القضية الوطنية"³.

¹. محمد عبد القادر جيلاني، أعمال ندوة ملامح وأسس المشروع الوطني السوداني، 9 فبراير 2022م.

². محمد جيلاني المرجع السابق.

³. مضوي الترابي. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان، 26 أكتوبر 2022م.

ومن المهم التأكيد أن المشروع الوطني فكرة سودانية منبتها جغرافية السودان ومرجعيتها ذاتها، وفي نفس الوقت هي غير منفصلة عن الأفكار الفلسفية التي ناقشت نظرية الدولة لا سيما في الفضاء الغربي ومن أشهر منظروها أمثال جان جاك روسو الذي يرى أن الدولة تعاقدا اجتماعي سياسي بين المكونات الديمغرافية بمختلف تنوعاتها الطبقية والعرقية والأثنية والثقافية، وبالتالي فالدولة عنده نتاج اتفاق مشترك "عقد".

ونجد في أمريكا كذلك أن الدولة قامت على فلسفة جون لوك بوصفها مجموعة تخصصات تهدف إلى خدمة زمن كلي يقوم على الوجود الغالب في الأرض زراعة، أو رعي، أو صناعة، ومن ثم تقوم كل المكونات على خدمة الوجود الغالب وبه تعرف هوية الدولة القادرة على إدارة التنوع وفق أسس معقولة للتعايش بين مختلف المكونات لأن مسألة التعايش بين المكونات المختلفة ليست قضية ثقافية وإنما هي قضية سياسية تحدد المتفق حوله وتحميه بالدستور والقوانين وتصبح بمثابة قضايا وطنية وقيم مرعية ومحترمة من قبل الجميع ويعاقب من يخل بها ويقع الاختلاف على ما دونها"¹.

4. منهاج المشروع الوطني:

من نافلة القول أن إنجاز المشروع الوطني لإقامة دولة المواطنة الذي نتحدث عنه الآن يتطلب توفر الإرادة السياسية، والاجتماعية النخبوية والشعبية القوية والصادقة لفهم وتبني الملامح الأساسية التي اشارت إليها فلسفته، وإشاعة ثقافة النقد الذاتي الموضوعي بعيداً عن جلد الذات والترضيات والمجاملات، وثقافة التفكر، والحوار، والسلام والتي تفضي إلى إعادة صياغة الشخصية السودانية بالتخلص من سلبياتها ودعم إيجابياتها -لا سيما التسامح والتكافل- واستكمال بناء الأمة السودانية الموحدة طواعية؛ بتحويل التعدد والتنوع والتباين والاختلاف في مكونات المجتمع السوداني إلى مصدر قوة وعنصر إخصاب للوحدة الوطنية، والتماسك الاجتماعي، والتعايش السلمي، وبسط الاستقرار السياسي، والسلام الاجتماعي، والرخاء الاقتصادي، والوفرة والرفاهية. ومن ثم يتسنى إِبصار ميزة التنوع في أنه الأساس لمعرفة الذات والوعي باختلافها عن الآخر والاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى وحقوقها وكذلك إدراك أهمية التفاعل مع الآخرين لكونه من المستحيل تصور وجود الذات بمعزل عن التأثير بالآخرين وبهذا الفهم سيكون التنوع مصدر إثراء ونماء للمجتمع"².

¹. عثمان حسن عثمان. أعمال ندوة التنوير ضرورة المشروع الوطني 25 يناير 2023م.

². الجزولي دفع الله. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان، مرجع السابق.

5. المشروع الوطني وقضايا التنوير:

منذ ظهور فكرة الدولة شهدت الدولة التاريخية العديد من التطورات والتغيرات بخاصة لدى المجتمعات الغربية وصولاً إلى الدولة بصيغتها الحديثة وما يعرف لدى البعض بالدولة الموضوعية، وهي التي تعنى بحركة المجتمع. فإن مقارنة تلك التطورات بالحالة السودانية بالإمكان استنباط منظومة من الضوابط الأخلاقية والجمالية والدينية والدستورية وغيرها ومراحل تطورها انطلاقاً من المرحلة الكوشية المنتهية في سنة 350م وهي المرحلة الأهم التي تعبر عن تبلور الميراث العسكري والسياسي في السودان والذي شهد تطوراً جديداً، ثم ظهور الأثر الإسلامي القوي بقيام مملكة الفونج في العام 1405م وما تلاه من قيام ممالك إسلامية عديدة كل ذلك يمثل الأساس لصناعة الدولة السودانية مع ملاحظة أن اندراج مكونات الفكر الإسلامي في السودان اكتسب مظاهراً خصوصية فريدة.

أما الدولة الوطنية التي قامت في السودان عقب الاستعمار الإنجليزي في العام 1956م لم تشهد صراعاً فكرياً حقيقياً يؤدي إلى قيام الدولة الحديثة بل كانت هذه المرحلة ميداناً للصراع السياسي والإيديولوجي القائم على السجال والمكائدات رهينة المصالح الذاتية، الأمر الذي يضع المرجعية الفكرية موضع التساؤل ويطرح سؤال التنوير ومدى أهميته للمشروع الوطني، ويقضي ذلك طرح الأفكار ونقدها وتحليل حركة المجتمع ومقاربة الأخطاء التي لابد من التصدي لها.

إذن ضرورة النقد والتحليل تستدعي إعادة النظر في الأفكار التي طرحت على المجتمع السوداني ويعنى هذا ضرورة التفكير في العديد من القضايا: الحرية، الثقافة، الإيديولوجيا، والعلم، والتفكير فيها بطريقة جديدة تعظم الفرص لإيجاد الحلول الجذرية التي يعاني منها المجتمع السوداني بطريقة عقلانية وعلمية؛ إذ أن تنوير للعقول يمكن من تسليط الأضواء الكاشفة على المشاكل منذ الاستقلال، وشكلت تلك المشاكل واقعا وهميا غير حقيقي، كانت النتيجة الفشل المستمر وانتقال الوضع من سيء إلى أسوأ، لكن التجربة السودانية لا ينبغي أن تهمل على نحو ما جرت العادة؛ بل من المهم جداً الوقوف عند المبادئ التي حكمت مسار هذه التجربة¹.

وبهذا الفهم علاقة التنوير بالمشروع الوطني تتبدى في اكتشاف طرق التفكير التي تجعل الإنسان يسلك سلوكاً محددًا إزاء تصورات الحياة مثلاً: أن مؤسسة القبيلة لها قانون يحميها ويعني أن هنالك أعرافاً في الشرق

¹. عثمان حسن عثمان. التنوير ضرورة المشروع الوطني، مرجع سابق.

كما أن هنالك أعرافا في الجنوب أو الغرب وأن الجذور الفكرية للشمال تنتهي لنظام قبلي تحكمه الأسطورة أكثر مما تحكمه مجموعة من العادات والتقاليد آتية من الثقافة. وبالتالي القدرة على إقامة التوازنات المطلوبة وتعد هذه الخطوة أولى خطوات التحول إلى الدولة التاريخية المتقدمة، ويوضح ذلك أن العامل المشترك الأعظم في العقل السوداني هو الجغرافيا، وبالتالي لا يمكن استخلاص أعراف إلا على أساس جغرافيا مشتركة، ومن ثم ينتمي الفكر المكاني الذي يحكم العادات المرتبطة بالأجداد، لخريطة واحدة من مجموع الثقافات المشكلة للهوية الوطنية، وكذلك المناهج التي تستخدمها كطرق للحياة تصقل بالعلم والتجارب تستخلص منها أو تستنبط قضايا عامة قابلة للتعميم وبذلك يتحقق الانتقال من القبلية إلى الدولة"¹.

6. ملامح المشروع الوطني:

خلصت الأبحاث والدراسات التي أنجزها المنتدى إلى تحديد ملامح المشروع الوطني في ثنائيات متقابلة تعكس طبيعة التناقضات الكائنة في الشخصية السودانية التي وصفت (بالمحيرة) أحيانا؛ وأوصت بأهمية الاشتغال على هذه التناقضات، وإلا فإن الدولة السودانية الحديثة ستظل غارقة في التخلف، ومن ثم طرح إمكانية الانتقال من مكونات التخلف إلى إصلاح الحاضر والمستقبل"². وانفتاح الحديث عن ثقافة التخلف التي تحكم المجتمع السوداني والتي تظهت في الانتماء إلى القبيلة والطائفة واتباع طرق تعبير وسمت بالعنف والتغالب. واتباع المشافهة وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر ومن ثم فإننا في حاجة ماسة إلى ثقافة عاملة تهض بها جهات مختصة تدعمها الدولة تعمل على تقديم الثقافة السودانية وبغربتها وإنتاج قيم جديدة تنقل الشخصية إلى أفق الدولة بدلاً عن القبلية، والكتابة بدلاً عن المشافهة، والرقى والتقدم والسلام بدلاً عن العنف والتغالب وننتقل إلى ثقافة المستقبل ثقافة الاستنارة والوعي والرقى والتقدم والهدف من هذا أن تنقلنا هذه الثقافة العاملة من العشوائية إلى التخطيط الاستراتيجي"³.

وفقاً لذلك تبدو فكرة المشروع الوطني أكثر إلحاحاً في فضاء الثورة السودانية التي أتاحت مجالاً للتحول والتغيير تأسياً على المقابلات أدناه:

1/ من القبلية والجهوية والطائفية إلى المواطنة.

¹. محمد جيلاني، مرجع سابق.

². عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. أعمال ندوة الثقافة العاملة، 25 مايو 2022م.

³. عمر حاج الزاكي. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان مرجع سابق.

2/ من ثقافة العنف والتغالب إلى ثقافة الرقي والتقدم والسلام .

3/ من ثقافة المشافهة إلى الكتابة والتوثيق.

4/ من الأعراف إلى سيادة القانون.

5/ من الإيديولوجيا إلى المعرفة.

6/ من الاعتمادية والاستهلاك إلى الإنتاج.

7/ من التقليد إلى الإبداع.

8/ من التواكل إلى التكافل.

9/ من الفردية إلى الجماعية"¹.

7. محاور المشروع الوطني:

1.7. محور بناء العقل السوداني: من خلال تحريره من أشكال الاستلاب التي سيطرت على حملة خطاب

الفكر والتغيير على اختلافهم، إلى عقل سوداني ينتج معرفته، وقيمة، وطرق تفكيره من بيئته وجغرافيته"².

وتقود فكرة التحرر إلى بناء عقل سوداني حديث، وبناء ثقافة عاملة تتناسب مع التطور الإنساني تضطلع

من خلالها النخب بدورها المنتظر، وإعطاء اعتبار للبحث العلمي، وقد نحتاج لتأسيس ذلك بالرجع إلى العصور

القديمة منذ الإمبراطورية الكوشية أو ما قبلها"³ وتحتاج الثورة بدورها لتنظيم لكل المشكلات لبناء مجتمع

جديد، مما يظهر الحاجة إلى تعليم وإعلام جديد، ولا يتم ذلك إلا بتفريغ الباحثين ورصد ميزانية للبحث العلمي

وإنشاء مراكز الأبحاث فإن مسألة التغيير تحتاج إلى جهد كبير، والدولة السودانية لم تبني بعد"⁴.

2.7. محور ضبط الزمن الثقافي. الثقافي: على نحو ما هو مرتبط بالمكان حيث تعيش الجماعة وتتبع طرق

حياتها المختلفة زراعية أم رعوية أم تجارية أم صناعية وغيرها. وبناء على ذلك تنتج نظم إدارتها وقوانينها

وأعرافها ونمط حياتها المناسب لها.

¹ . عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. أعمال ندوة ملامح وأسس المشروع الوطني السوداني. مرجع سابق.

² النور حمد. أعمال ندوة الثقافة العاملة مرجع سابق.

³ . بركات الحواتي. أعمال ندوة التنوير ضرورة المشروع الوطني. مرجع سابق.

⁴ الفاضل محمد الأمين، أعمال ندوة التنشئة الاجتماعية، 22 فبراير 2023م.

3.7. محور إيجاد المنهج المناسب للشخصية السودانية والمنهج العلمي: الذي من خلاله يستطيع العقل السوداني أن ينتج معرفته، لأن ثمة مناهج كثيرة على مستوى العلم والمعرفة، فهل نحتاج مناهجا استقرائية أو استنباطية أو تاريخية لأنه اعتمدنا كثيرا على المنهج الخبراني وهو منهج كثير الأخطاء ويصعب ضبطه علميا¹. ثمة رابط أساس بين هذه المحاور جميعاً وهو بناء الشخصية السودانية المرتبطة بالجغرافية (المكان) التي تمتلك عقلاً يمكنها من بناء دولتها ووضع خطط تطورها من أعرافها وتقاليدها وثقافتها بعقل منفتح ومتجدد سمته الرئيسية أنه عقل نقدي يعترف بأخطائه ويسعى دوماً للتجديد².

8. معايير المشروع الوطني:

- 1/ معيار الوحدة: الدعوة لوحدة السودان والعمل عليها والتحريض لها.
- 2/ معيار التنمية: العمل على تحقيق التنمية والدفع بها تحقيقاً لتطلعات المواطن³.
- 3/ معيار العقلانية: اعتماد النظر العقلي والمنطقي في تحليل الظواهر والأحداث وتفسيرها.
- 4/ معيار الموضوعية: التحرر من النزوعات الخاصة وشخصنة القضايا في إطلاق الأحكام والتقييم⁴.

9. مؤشرات الواقع:

هنالك عديد المؤشرات الهيكلية الحالية ناتجة عن عدم وجود رؤية وطنية للدولة، وبالتالي لم تحدد السمات الأساسية للدولة هل هي صناعية أم رعوية، تابعة أم لها استقلالية؟ لكل ذلك ظلت الأرض عاطلة والإنسان عاطل والاقتصاد غير قادر على بناء نظام يقوم على تلبية الاحتياجات الضرورية إذن الوضع الهيكلي للدولة يكشف ليس فقط أن هناك اختلالاً هيكلياً بل أيضاً يكشف الفجوات في النظام السياسي والاقتصادي حيث يتم تحييد أعداداً كبيرة عن النظام الهيكلي للدولة مثلاً نجد أن 8 ملايين شخص فقط تقريباً يعملون بالسياسة مقابل 40 مليون لا يهتمون بها. يجب أن نشكل توازناً ونظاماً اقتصادياً قائماً على أن الدولة هي البعد الموضوعي والهيكلية⁵ مع الوضع في الاعتبار المؤشرات التالية:

¹ محمد عبد القادر جيلاني، مرجع سابق.

² صديق داور. أعمال ندوة التعافي والبناء الوطني.. مقاربات أولية، 27 أغسطس 2022م.

³ محمد جيلاني، مرجع سابق.

⁴ عثمان حسن عثمان، مرجع سابق.

⁵ عبد المنعم حواتي، أعمال ندوة البناء الوطني في الوضع الهيكلي والبنائي للدولة السودانية، 30 نوفمبر 2022م.

- الفجوة في الأمن الغذائي.
- توزيع السكان بين الريف والمدن.
- شرعية النظام السياسي ونظام الحكم.
- العنف السياسي والاجتماعي.
- النفقات العسكرية.
- العوامل الخارجية والوضع الاقتصادي العالمي والقبول الإقليمي.
- العلاقات مع دول الجوار والعوائد الاقتصادية.
- النزاع التاريخي¹.

10. مقاربات التعافي والبناء الوطني:

أكبر التحديات التي تجابه المشروع الوطني هي حالة الإحباط الناجمة عن التجارب السابقة والأنية والتي تقود إلى الفشل وتفكك الدولة في حال عدم السير على هدى الواقع ومطلوباته، مما يدعو إلى اتخاذ خطوات جادة على رأس أولوياتها تحقيق التوافق الوطني الشامل بين جميع شركاء الوطن دون إقصاء واتخاذ الحوار وسيلة وحيدة لذلك، ثم تشكيل حكومة انتقالية لتنفيذ برنامج متفق عليه².

والحال كذلك ينظر العالم إلى السودان بأنه دولة تسيير نحو التفكك، وسوف تكون مأوى للتطرف وفي الوقت نفسه أنه مستودع للموارد الطبيعية، ومكان لفرص استثمار آمن ومريح درجته الربحية عالية نظراً للموقع الجغرافي المتميز والإمكانات غير المحدودة.

هذا الوضع المتناقض يجب أن نتعلم منه التفكير بتوازن لكي نحافظ على مصلحتنا واستقلاليتنا وفقاً لمرتكزات المشروع الوطني، ويعني ذلك نحن الآن محتاجون لتعافي وطني؛ وتقبل كل منا الآخر، ويجب أن نشكل لغة جديدة للتعبير، ولا بد من تبني مصطلحات المشروع الوطني بوصفه المشروع الذي يعمل على تحقيق المصلحة العليا للمواطن السوداني استناداً إلى جهود الشركاء الوطنيين لتطوير الأفكار لبناء دولة الحرية

¹ محمود زين العابدين. المرجع السابق.

² بكري خليل. أعمال ندوة الدولة الحديثة في السودان وبنيتها القيمية، 2 أغسطس 2022م.

والديمقراطية والنماء للمجتمع والإنسان ببناء أجيال تنتمي إلى جغرافيتها وثقافتها، في هوية وطنية جامعة. فتح ذلك المجال للتعرف على طبيعة الأخطاء والمشكلات وإعادة ضبطها صياغتها لتحقيق التعافي الوطني انطلاقاً من عديد المقاربات من بينها الآتي:

1/ القبيلية ومآلاتها السالبة.

2/ الطائفية وأثرها في الحياة السياسية والاجتماعية.

3/ إعادة بناء الشخصية السودانية.

4/ الآداب والفنون وأثرها في التعافي الوطني (نحو فنون تعبر عن جماليات الهوية الوطنية/نحو فنون تزكي الوجدان وتطهر النفوس/نحو آداب تكرر قيم المواطنة والتعايش السلمي).¹

5/ رؤية جديدة لحكم السودان والبنى القيمية للدولة الحديثة.

6/ الوضع الهيكلي والبنائي للدولة السودانية (من القوة الكامنة إلى القوة الفاعلة/من تعارض المشروعات والرؤى إلى التكامل والانسجام/سياسة خارجية تحقق المصلحة الوطنية).²

7/ الثقافة العالمية.

8/ التنوير ضرورة المشروع الوطني.

9/ التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء المواطن السوداني (ما هي محددات المواطن السوداني الصالح/ ما هي المناهج المناسبة لنقل السوداني من التخلف إلى الرقي/كيف يمكن بناء عقل سوداني من خلال التنشئة الاجتماعية).

خاتمة:

من خلال رحلة البحث في أعمال المنتدى القومي للفكر والتنمية والسلام بجامعة المغتربين استطعنا الوقوف على مادة علمية غنية بدت لنا من خلالها إمكانية القدرة على صياغة معالم نظرية يمكن أن تزود الباحثين

¹ . مصطفى عبده. أعمال ندوة الآداب والفنون ودورها في التعافي الوطني، 28 سبتمبر 2022م.

² فتح الرحمن التوم. أعمال ندوة الدولة الحديثة في السودان وبنيتها القيمية مرجع سابق.

بندى ملائم لدراسة الظواهر وتفسيرها ومقاربتها وفق أسس معقولة، عرفت المشروع الوطني وحددت ملامحه وأسسها ومعاييرها فضلاً عن الإشارة لأهم المقاربات التي تمثل خطوة جيدة ومحفزة للسير باتجاه التعافي الوطني. هذا يبشر بالأدوار المنتظرة للجامعات في خدمة قضايا المجتمعات وقضايا الوطن بتفعيل القدرات التي تتوفر عليها الجامعات في مجال البحث العلمي لإقامة الربط الضروري بين الجامعات والمجتمع وتأكيد الشراكة للنهوض بالمجتمع وتحقيق التنمية والاستقرار.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الجزولي دفع الله. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان، 26 أكتوبر 2022م.
2. الفاضل محمد الأمين، أعمال ندوة التنشئة الاجتماعية، 22 فبراير 2023م.
3. النور حمد. أعمال ندوة الثقافة العالمية، 25 مايو 2022م.
4. بركات الحواتي. أعمال ندوة التنوير ضرورة المشروع الوطني، 25 يناير 2023م.
5. بكري خليل. أعمال ندوة الدولة الحديثة في السودان وبنيتها القيمية، 2 أغسطس 2022م.
6. دليل الطالب الجامعي. أمانة الشؤون العلمية، جامعة المغتربين، 2011م.
7. صديق داور. أعمال ندوة التعافي والبناء الوطني: مقاربات أولية، 27 أغسطس 2022م.
8. فتح الرحمن التوم. أعمال ندوة الدولة الحديثة في السودان وبنيتها القيمية، 2 أغسطس 2022م.
9. عبد المنعم حواتي، أعمال ندوة البناء الوطني في الوضع الهيكلي والبنائي للدولة السودانية، 30 نوفمبر 2022م.
10. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. الشخصية السودانية المكونات والمؤثرات والسمات الخرطوم، جامعة المغتربين 2011م.
11. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. أعمال ندوة ملامح وأسس المشروع الوطني السوداني. 9 فبراير 2022م.
12. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن. أعمال ندوة الثقافة العالمية، 25 مايو 2022م.
13. عثمان حسن عثمان. أعمال ندوة التنوير ضرورة المشروع الوطني 25 يناير 2023م.
14. عمر حاج الزاكي. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان، 26 أكتوبر 2022م.

15. محمد عبد القادر جيلاني، أعمال ندوة ملامح وأسس المشروع الوطني السوداني، 9 فبراير 2022م.

16.. محمود زين العابدين. أعمال ندوة البناء الوطني في الوضع الهيكلي والبنائي للدولة السودانية، 30 نوفمبر 2022م.

17. مصطفى عبده. أعمال ندوة الآداب والفنون ودورها في التعافي الوطني، 28 سبتمبر 2022م.

18. مضوي الترابي. أعمال ندوة نحو رؤية جديدة لحكم السودان، 26 أكتوبر 2022م.

19. مطوية المنتدى القومي للفكر والتنمية والسلام، جامعة المغتربين 2016م.

ملحق الصور:

ملحق



جامعة المسارين
مركز خدمة المجتمع
منتدى الفكر والتنمية والسلام

سلسلة ندوات عن كيفية النهوض بالسودان والحقايق بركب الدول المتقدمة

المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة
ندوة رقم (5)

محاور النقاش :

- الأليات والخطوات و دورها في التعاملي الوطني
- نحو فئتين تعبر عن جماليات الهوية الوطنية
- نحو فئتين تركزى الوجدان وتظهر القنوس
- نحو آليات تكريس قيم المواطنة والتعايش السلمي

التحدثون :

- د. مصطفى عبيد
- د. مصطفى الصاوي
- د. أمين صديق

يعتقد عليها : د. عمر حجاج الزركي

الكلية : قاعة أ.د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن للمؤتمرات الزمان : الأربعة الموافق 28-29-30-31/04/2022
الوقت : الساعة الواحدة ظهرا

جامعة المسارين
مركز خدمة المجتمع
منتدى الفكر والتنمية والسلام

سلسلة ندوات عن كيفية النهوض بالسودان والحقايق بركب الدول المتقدمة

المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة
ندوة رقم (6)

محور الحكم :

- من الاعراف الى سيادة حكم القانون
- من الديمقراطية المعيارية الى الديمقراطية المتقدمة

التحدثون :

- د. عمر حجاج الزركي
- د. مضمون التراس
- د. محمد يوسف

يعتقد عليها : د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن

الكلية : قاعة أ.د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن للمؤتمرات الزمان : الأربعة الموافق 29-30-31/04/2022
الوقت : الساعة الواحدة ظهرا

جامعة المسارين
مركز خدمة المجتمع
منتدى الفكر والتنمية والسلام

سلسلة ندوات عن كيفية النهوض بالسودان والحقايق بركب الدول المتقدمة

المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة
ندوة رقم (7)

محور الحكم :

- من القوة الكامنة الى القوة الفاعلة
- من تعارض المشروعات والبروي الى التكامل والانسجام
- نحو سياسة خارجية تحقق الصحة الوطنية للدولة

التحدثون :

- الاستاذ عينا المنعم اخواني
- الاستاذ محمد جيلاني

يعتقد عليها : د. محمود زين العابدين محمود
مدير المركز الأفرقسي لدراسات الحكومة

الكلية : قاعة أ.د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن للمؤتمرات الزمان : الأربعة الموافق 30-01-02-03/05/2022
الوقت : الساعة الواحدة ظهرا

سلسلة ندوات عن كيفية النهوض بالسودان والحق بركب الدول المتقدمة
منتدى الفكر والتنمية والسلام
مؤسسة مصطفى بن سبيح

المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة
التنوير ضرورة المشروع الوطني
ندوة رقم (8)

بعض المتحدثون

د / حيدر إبراهيم علي / يرأس الجلسة :-
د.أ/ عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن
د / مجدي عز الدين / يُعقب على المتحدثين :-
د.أ/ بركات الحواتي / عثمان حسن عثمان

المكان: قاعة أ.د.عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن للمؤتمرات
جبرة / غرب ديوان الزكاة الإتحادي
الزمان: 2023/1/25
الساعة الواحدة ظهراً
مع نيات إدارة الإعلام والعلاقات العامة
الدعوة عامة

جامعة المستنصرية
مركز خدمة المجتمع
منتدى الفكر والتنمية والسلام

سلسلة ندوات عن كيفية النهوض بالسودان والحق بركب الدول المتقدمة
المشروع الوطني لبناء الدولة السودانية الحديثة
التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء المواطن السوداني
ندوة رقم (9)

محاورة النقاش :

المتحدثون :
د.أ/ عمر حجاج الزواقي
د.أ/ الصافي محمد الأمين
د.أ/ رضا عبدالقادر حميدة
يقب عليها :

مواضيع محادثات المواطن السوداني الصالح :
مواضيع المناهج المناسبة لتفكير السودان من التحفظ إلى الترقى
كيف يمكن تنمية عقل سوداني من خلال التنشئة الاجتماعية :

المكان: قاعة أ.د.عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن للمؤتمرات
الزمان: الأربعاء 22/2/2023
الساعة الواحدة ظهراً
الدعوة عامة

البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي:

دراسة المنهجية الأخلاقية نحو مقاربة تكاملية بين الإنسان والآلة

Scientific Research in the Age of Artificial Intelligence: A Study of the Ethical Methodology towards an Integrative Approach between Human and Machine"

د. قسم السيد الطيب محمد قسم السيد (جامعة الخرطوم، السودان)

Dr. Gasmalseed Altyb Mohammed Gasmalseed (Khortoum University, Sudan)

Abstract:

Scientific research is witnessing an unprecedented and profound transformation thanks to Artificial Intelligence (AI) technologies, which have become a strategic partner throughout the research process, from data collection and analysis to idea generation and results publication. This paper aims to analyze the qualitative impact of employing AI on research outcomes, providing an in-depth study of the emerging ethical and methodological challenges resulting from this integration. The research also seeks to offer a comprehensive foresight vision that ensures balance between computational capabilities and human/epistemological values, leading to the achievement of the "Collaborative Intelligence" model. The study adopted the Descriptive Analytical Method, utilizing Critical Content Analysis on a sample of specialized literature published between 2020 and 2025. The study concludes that AI is a fundamental driving force for advancing knowledge, provided that the researcher's role is redefined from "executor" to "director and organizer" within transparent and fair ethical codes that guarantee academic integrity.

Key Words :Artificial Intelligence, Scientific Research, Ethics, Digital Revolution, Epistemological Innovation, Collaborative Intelligence.

مستخلص:

يشهد حفل البحث العلمي في العصر الرقمي تحولاً جذرياً غير مسبوق، بفضل توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI)، التي باتت تشكل شريكاً استراتيجياً في مختلف مراحل العملية البحثية، بدءاً من جمع البيانات وتحليلها وصولاً إلى توليد الأفكار ونشر النتائج. يهدف هذا البحث إلى تحليل الأثر النوعي لتوظيف الذكاء الاصطناعي على مخرجات البحث، مع دراسة معمقة للتحديات الأخلاقية والمنهجية الناشئة عن هذا الدمج.

كما يسعى البحث إلى تقديم رؤية استشرافية متكاملة تضمن التوازن بين القدرات الحاسوبية والقيم الإنسانية والمعرفية، وصولاً إلى تحقيق نموذج "الذكاء التعاوني". اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، باستخدام التحليل النقدي للمحتوى لعينة من الأدبيات المتخصصة الصادرة بين 2020 و2025. ويخلص البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي يمثل قوة دافعة أساسية للارتقاء بالمعرفة، شريطة إعادة تعريف دور الباحث من "منفذ" إلى "موجه ومنظم" في إطار مدونات أخلاقية شفافة وعادلة تضمن النزاهة الأكاديمية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، البحث العلمي، الأخلاقيات، الثورة الرقمية، الابتكار المعرفي، الذكاء التعاوني.

مقدمة:

يظل البحث العلمي، عبر مختلف العصور، الركيزة الأساسية لفهم العالم الطبيعي والاجتماعي وتفسير ظواهره المعقدة. ومع التقدم المتسارع في المعرفة الإنسانية، تطور مفهوم البحث العلمي ومنهجيته لمواكبة الابتكارات التقنية. وقد أدت التحولات النوعية، التي ولدتها تقنيات التعلم الآلي (Machine Learning) والتعلم العميق (Deep Learning) وتحليل البيانات الضخمة، إلى دخول البحث العلمي في حقبة جديدة تتميز بتغير كبير في الأساليب والمنهجية.

في هذا السياق، أصبح الذكاء الاصطناعي يمثل إحدى أبرز الظواهر التقنية المعاصرة التي أحدثت تحولاً في بنية المعرفة وأساليب إنتاجها، حيث يهدف الذكاء الاصطناعي إلى فهم طبيعة الذكاء الإنساني عن طريق برامج

وخوارزميات وروبوتات قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء، من أجل الاستدلال المعرفي، وإدراك الأشياء بطريقة برمجية ذكية⁽¹⁾.

وقد أسفرت الابتكارات القائمة على الذكاء الاصطناعي عن ظهور أدوات وتقنيات قادرة على معالجة المعلومات بكفاءة غير مسبوقة، مما أسهم فعلياً في تحسين جودة المخرجات البحثية وتسريع دقة النتائج. غير أن دمج هذه الأدوات ضمن منهجية البحث العلمي أثار جدلاً واسعاً حول المخاوف الأخلاقية والمنهجية. وتتركز هذه المخاوف حول كيفية الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي، بما في ذلك إمكانية ظهور التحيز الخوارزمي، والتشكيك في مصداقية النتائج المولدة آلياً، وضرورة حماية الخصوصية والملكية الفكرية. هذا الوضع يفرض ضرورة ملحة لإعادة تعيين المعايير الأخلاقية والمنهجية، والسعي لتطوير إرشادات جديدة تضمن دقة وموضوعية البحث وتجنب أي تحيز يمكن أن يؤثر على النتائج. لذا تنبع أهمية هذا البحث من محاولته الموازنة بين القوة الدافعة للذكاء الاصطناعي وضرورة الحفاظ على استقلالية التفكير الإنساني والنزاهة الأكاديمية.

مشكلة البحث:

يحتاج الباحثين إلى العديد من الخدمات التي تلبى احتياجاتهم البحثية، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي يمكن الاستفادة منها في دعم عملية البحث العلمي؛ ومن هذا المنطلق يتوجب على الباحثين استثمار هذه التطبيقات والاستفادة منها في دعم أبحاثهم وفق ضوابط وأسس أخلاقية معينة، وفي ضوء ما سبق يمكن أن تتلخص مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

كيف يمكن للباحثين تبني أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل منهجي وأخلاقي لتعزيز جودة البحث العلمي، مع ضمان استقلالية التفكير الإنساني والملكية الفكرية للمخرجات؟.

أسئلة البحث:

1. ما المزايا النوعية والكمية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في مراحل البحث العلمي؟

(¹) العاصي، أحمد (2021). تقييم خبراء الإعلام للأبعاد الأخلاقية والمهنية للذكاء الاصطناعي في الإعلام الرقمي: (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة.

2. ما أبرز التحديات الأخلاقية والمنهجية (مثل التحيز الخوارزمي وقضايا الملكية الفكرية) الناشئة عن هذا الدمج؟

3. ما الرؤى الاستشرافية (نموذج الذكاء التعاوني) التي تضمن التوازن بين القدرات الحاسوبية والقيم الإنسانية والمعرفية؟

أهمية البحث:

1. تكتسب هذه الدراسة أهميتها من ارتباطها بالبحث العلمي ومدى أهميته في تفسير الظواهر المعقدة.
2. كما يزيد من أهمية الدراسة ارتباطها بتطبيقات الذكاء الاصطناعي ودورها في دعم عملية البحث العلمي.
3. لفت نظر الباحثين إلى تبني الاستخدام المسؤول لتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

أهداف البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد المجالات التي يعزز فيها الذكاء الاصطناعي كفاءة البحث.
2. دراسة التحديات الأخلاقية والمنهجية الناشئة دمج أدوات الذكاء الاصطناعي ضمن منهجية البحث.
3. تقديم رؤية تضمن التوازن بين القدرات الحاسوبية والقيم الإنسانية والمعرفية.

منهجية البحث وإجراءاته:

اتباع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive Analytical Method). حيث اعتمد الباحث على مراجعة الأدبيات والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، وتحليل الأطر النظرية والممارسات التطبيقية لهذه التقنيات. كما تم توظيف هذا المنهج لتفكيك ومناقشة التحديات الأخلاقية والمنهجية الناجمة عن استخدام الذكاء الاصطناعي، بهدف تقديم رؤية تركيبية متكاملة تدعم التوازن بين الابتكار التقني والنزاهة الأكاديمية.

وقد استند هذا المنهج إلى الإجراءات الآتية:

1. تحليل الأدبيات والنصوص:

تم إجراء مسح شامل للأدبيات والدراسات العلمية الحديثة المتخصصة التي تناولت تقاطع الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي وأخلاقياته. وشملت هذه الأدبيات الأوراق البحثية المنشورة في المجالات العلمية المحكمة، والكتب المتخصصة، والتقارير الصادرة عن المنظمات الدولية (مثل تقارير اليونسكو).

2. عينة البحث ومصادر البيانات:

تكونت عينة البحث من مجموعة من الدراسات والأطر النظرية المنشورة حديثاً (في الفترة من 2020 وحتى 2025)، والتي قدمت رؤى تحليلية حول المزايا الكمية والنوعية لتوظيف الذكاء الاصطناعي، وتلك التي سلطت الضوء على المخاطر المتعلقة بظواهر مثل التحيز الخوارزمي والملكية الفكرية. تم التركيز في الاختيار على الأبحاث المنشورة في دوريات محكمة ذات معامل تأثير عالٍ لضمان الموثوقية العلمية.

3. أداة التحليل:

اعتمد البحث على التحليل النقدي للمحتوى (Critical Content Analysis) كأداة رئيسية. تم من خلال هذه الأداة تفكيك محتوى الأدبيات المرجعية إلى محاور أساسية باستخدام وحدات تحليل محددة، وهي:

(1) المزايا: تحديد المجالات التي يعزز فيها الذكاء الاصطناعي كفاءة البحث (كتحليل البيانات الضخمة، توليد الفرضيات، دعم مراجعة الأقران).

(2) التحديات الأخلاقية: تصنيف المخاطر المنهجية والأخلاقية (كالتحيز الخوارزمي، ظاهرة الهلوسة في النصوص، الملكية الفكرية، الموثوقية، تراجع مهارات التفكير النقدي).

(3) الرؤى الاستشرافية: استخلاص النماذج المقترحة للتعامل المستقبلي (كالذكاء التعاوني وضرورة المدونات الأخلاقية).

وقد مكن هذا التحليل الباحث من الخروج برؤية تركيبية متكاملة تدعم الإشكالية وتصل إلى نموذج متوازن يخدم النزاهة الأكاديمية.

المحور الأول: تأصيل مفهوم البحث العلمي في سياق الثورة الرقمية

يُعرف البحث العلمي، كما أشار العاني⁽¹⁾، بأنه "عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة معينة تسمى (موضوع البحث) باتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث) بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة تسمى (نتائج البحث)".

ويتميز البحث العلمي بمجموعة من الخصائص الجوهرية التي تضمن مصداقيته وموضوعيته، أبرزها المنهجية المنظمة التي تتبع خطوات دقيقة تبدأ بتحديد المشكلة ووضع الفرضيات، وصولاً إلى التحليل والاستنتاج. كما يتسم بالموضوعية (تجنب التحيز الشخصي)، والقابلية للتكرار (إمكانية تكرار الدراسة للتحقق من النتائج)، والتعميم (تطبيق النتائج على نطاق أوسع)

أما مراحلها الأساسية فتشمل تحديد المشكلة، ومراجعة الأدبيات، ووضع المنهجية، وجمع البيانات، وتحليلها، وصياغة التقرير النهائي.

في عصر الثورة الرقمية، لم تتغير هذه المراحل جوهرياً، بل تم تضخيم كفاءة كل مرحلة بفضل أدوات الذكاء الاصطناعي، مما يستوجب دمج اعتبارات أخلاقية جديدة في جميع هذه الخطوات. لذا، يستلزم الأمر أولاً تأصيلاً لمفهوم الذكاء الاصطناعي لفهم الأسس التي تقوم عليها هذه التقنيات قبل مناقشة أثرها.

المحور الثاني: الذكاء الاصطناعي: الأسس النظرية والممارسات التطبيقية في المجال البحثي

عُرِفَ الذكاء الاصطناعي بأنه فرع من فروع علوم الكمبيوتر التي تهدف إلى دراسة وتصميم الوكلاء الأذكاء، حيث يكون الوكيل الذي يديره بيئته من حوله ويتخذ الإجراءات التي تزيد من فرص النجاح، وهو يضم الطرق والنظريات والتقنيات التي تهدف إلى إنشاء آلات وتقنيات قادرة على محاكاة الذكاء الإنساني⁽²⁾.

وقد شهدت السنوات الأخيرة نمواً في تطبيقات الذكاء الاصطناعي، أحدث ذلك ثورة في كافة مجالات الحياة بما في ذلك مجال البحث العلمي، وعليه فإن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي قد تساعد الباحثين في إنجاز بحوثهم، في جميع المراحل انطلاقاً من مشكلة البحث وفرضياته إلى كتابة التقرير النهائي للبحث. وتشير العديد

(¹) العاني، عبد القاهر داود (2014). منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية. دار وحي القلم، الطبعة الأولى.

(²) العاصي، أحمد (2021). تقييم خبراء الإعلام للأبعاد الأخلاقية والمهنية للذكاء الاصطناعي في الإعلام الرقمي. مرجع سابق.

من الدراسات التي تناولت موضوع دمج أدوات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي مثل: دراسة رمضان⁽¹⁾، ودراسة أحمد وحجازي⁽²⁾، ودراسة السعيد⁽³⁾، ودراسة شينار وعبد الوهاب⁽⁴⁾ إلى أهمية هذه الأدوات في دعم الباحثين، لكونها تعزز من قدرة الباحثين على تحليل كميات ضخمة من البيانات بسرعة ودقة فائقة، وتقدم فرصًا كبيرة لدعم البحث العلمي، لكنها تحذر أيضًا من مخاطر الاعتماد الزائد عليها، وتركز على أهمية الالتزام بالقيم والضوابط للبحث العلمي في ضوء تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

تطبيقات منهجية لتعزيز عملية البحث العلمي:

يمكن إبراز أثر دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي ضمن منهجية البحث على تعزيز نتائج الأبحاث من خلال ما يأتي:

1. استخدام الخوارزميات في تحليل البيانات: تتيح خوارزميات التعلم الآلي قدرات تحليلية تتجاوز الأدوات

الإحصائية التقليدية، فهي قادرة على:

- تحديد العلاقات غير الخطية المعقدة بين المتغيرات.
- تحليل مجموعات بيانات متعددة الأبعاد.
- التعامل مع بيانات غير منظمة مثل النصوص والصور والفيديو.
- الكشف عن الأنماط المخفية في الظواهر البحثية.

2. تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مراحل البحث العلمي:

تشمل أبرز التطبيقات:

- تنقيب النصوص لاستخراج المعرفة من الأدبيات العلمية.
- النمذجة التنبؤية لفحص الفرضيات والتنبؤ بالنتائج.

(1) رمضان، ، شيماء عماد (2024). تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي (الفرص والتحديات). مجلة الذكاء الاصطناعي وأمن المعلومات، (5)2، 202-225.

(2) أحمد، ماهر محمد وحجازي، ياسين علي. (2023). استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي: دراسة تحليلية. المجلة العربية الدولية لتكنولوجيا المعلومات والبيانات، (4)3، 49-96.

(3) السعيد، ، رضا مسعد (2023). تطبيقات نماذج الذكاء الاصطناعي (Chat GPT) في المناهج وطرق التدريس: الفرصة المتاحة والتهديدات المحتملة. مجلة تربويات الرياضيات، (4)26، 26-44.

(4) شينار، سامية وعبد الوهاب، مداسي (2020). أخلاقيات البحث العلمي في ظل التطور التكنولوجي. مجلة سوسيولوجيا، (2)4، 258-275.

- خوارزميات التصنيف والتجميع لتنظيم البيانات الضخمة.
- معالجة اللغة الطبيعية (NLP) لدعم تحليل المحتوى وصياغة النصوص.

3. أدوات الذكاء الاصطناعي في المجال الأكاديمي:

برزت أدوات متنوعة مثل:

- أنظمة إدارة المراجع الذكية.
- نماذج اللغة (LLMs) لدعم الكتابة والتحليل.
- تطبيقات تحليل الصور الطبية.
- أدوات الكشف عن التحيز والهلوسة.

وتشكل هذه الأدوات دعمًا معرفيًا قويًا بشرط استخدامها ضمن إطار منهجي خاضع لرقابة الباحث.

المحور الثالث: تعظيم كفاءة البحث: المزايا النوعية والكمية لتوظيف الذكاء الاصطناعي:

يوفر الذكاء الاصطناعي مزايا نوعية وكمية هائلة تعزز من كفاءة البحث العلمي منها:

1. تسريع إنجاز البحوث: يساهم الذكاء الاصطناعي في اختصار الفترات الزمنية اللازمة لإنجاز البحث، خاصة في مراحل المسح الأولي للأدبيات، وتنظيم البيانات، وصياغة الأقسام الأولية للتقرير.
2. تحليل كميات ضخمة من البيانات: تعتبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي أداة فعالة لتحليل البيانات الضخمة (Big Data)، حيث تُمكن الباحث من التعامل مع كميات هائلة من المعلومات بسرعة ودقة تفوق الطرائق الإحصائية التقليدية.
3. دعم وتجويد عملية مراجعة الأقران (Peer Review): يمكن لخوارزميات الذكاء الاصطناعي المتقدمة تحليل المخطوطات البحثية بسرعة فائقة للكشف عن الأنماط غير الطبيعية في البيانات أو التلاعب بالصور والأشكال، مما يعزز من جودة ومصداقية الأبحاث المنشورة، ويسرع من الدورة الزمنية للنشر الأكاديمي.
4. توليد الفرضيات: يتيح الذكاء الاصطناعي إمكانية توليد الفرضيات بسرعة أكبر بكثير مما يمكن للعقل البشري، وذلك عبر كشف الروابط المعقدة داخل مجموعات البيانات المتعددة الأبعاد من خلال استخدام تقنيات مثل الشبكات العصبية. على سبيل المثال، يمكن للباحثين والمؤلفين أن يطلبوا من نماذج اللغة

الكبيرة مثل (Chat GPT) اقتراح سؤال أو فرضية بحثية تتعلق بموضوع ما، ثم يقوم الباحث بتقييمها وتحسينها باستخدام معارفه وخبراته التخصصية. هذا التكامل بين الآلة والإنسان يعمق من عملية الاستكشاف المعرفي.

5. إنشاء الاستبيانات: تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي إنشاء استبيانات ذكية، بها كثير من المميزات مثل؛ التقليل من الأخطاء البشرية في صياغة الفقرات، وتصحيح التحيز المحتمل، والتخصيص التلقائي للأسئلة بناءً على الاستجابة السابقة للمشارك، والتنبؤ بالأسئلة الأكثر ملاءمة لكل مشارك، وغير ذلك من المميزات التي تدعم جودة البيانات وموثوقيتها، مما يجعل استخدام الاستبيانات المدعومة بالذكاء الاصطناعي نقلة نوعية في مجال البحث العلمي.

6. الترجمة: يمكن لأدوات الذكاء الاصطناعي من خلال إمكانية الترجمة من مختلف اللغات وكونها منظومات ذكية قادرة على الفهم الدلالي، وإدراك البنية المعرفية للنص، واستحضار المعاني الضمنية أن تسهم في تعزيز التواصل العلمي العابر للحدود، وتيسير الوصول إلى المعرفة العالمية.

7. إدارة المراجع والمصادر: تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي إمكانية الوصول إلى أحدث الدراسات والاستشهادات، وتنظيم المراجع والمصادر وتنسيقها وفق المعايير الدولية، فضلاً عن ربط المصادر بمحتوى البحث، من هذه الأدوات Google Scholar وهو الأكثر استخداماً من قبل الباحثين؛ حيث يبحث في مجموعة المواقع التابعة للمراكز العلمية ويتيح مجموعة من خيارات البحث.

8. تقليل الأخطاء الإحصائية ومنهجية التقييم: تسهم أدوات الذكاء الاصطناعي في تحسين دقة التحليل عن طريق تقليل هامش الخطأ البشري في إدخال البيانات أو تطبيق النماذج الإحصائية، وتتوافر العديد من أدوات الذكاء الاصطناعي التي تسهم بشكل كبير في عمليات التحليل الإحصائي للبيانات والتي يعتمد عليها المتخصصون في كافة التخصصات العلمية. ومن أشهر هذه الأدوات برامج مثل SPSS و SAS و STATISTICA، فضلاً عن الأدوات المدمجة في برامج مثل Excel، التي تقدم خدمات مميزة في هذا المجال⁽¹⁾.

(1) Prahani, B., et al. (2022). Artificial intelligence in education research during the last ten years: A review and bibliometric study. International Journal of Emerging Technologies in Learning (ijET), 17(8), 169–188. <https://www.online-journals.org/index.php/i-jet/article/view/25082>

فضلا عن ذلك، تتيح تطبيقات الذكاء الاصطناعي للباحثين والممارسين الاستفادة من تقنيات التعليم التعاوني المعتمدة على الحاسوب، مما يعزز من عمليات التعلم في مجالات متعددة، وخاصة في البرمجة⁽¹⁾. كما يمكن للخوارزميات اكتشاف القيم الشاذة أو المفقودة وتصحيحها أو التعامل معها بفاعلية أكبر، مما يزيد من موثوقية النتائج. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لتقنيات التعلم الآلي أن تساعد في تقييم جودة المنهجية البحثية المقترحة وتحديد العينات الأكثر تمثيلاً للظاهرة المدروسة. وعلى الرغم من هذه المزايا الهائلة التي تدفع بعجلة البحث العلمي، إلا أن دمج الآلة الذكية يفتح الباب أمام تحديات أخلاقية ومنهجية لا يمكن تجاهلها.

المحور الرابع: أزمة المصادقية: التحديات الأخلاقية والمنهجية في التعامل مع الآلة الذكية

على الرغم من الأثر الإيجابي الهائل لدمج أدوات الذكاء الاصطناعي ضمن منهجية البحث العلمي، تبرز العديد من التحديات الأخلاقية والمنهجية التي تواجه استخدام هذه الأدوات، والتي تهدد مصداقية البحث إذا لم يتم التعامل معها بصرامة، ومن خلال ما سبق يمكن عرض التحديات المرتبطة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي فيما يلي:

1. مشكلة الموثوقية والمصادر غير الموثوقة:

مع التطور السريع في عالم الذكاء الاصطناعي التوليدي، يظهر خطر استعمال هذه التقنيات على نحو غير مسؤول، مما يؤدي إلى آثار سلبية على الأفراد والمجتمعات. ينتج الذكاء الاصطناعي أحياناً نصوصاً أو بيانات تبدو حقيقية لكنها غير مدعومة بمصادر فعلية (ما يُعرف بالهلوسة). ينبغي على الباحثين أن يطوروا إطاراً أخلاقياً يوجه استخدام الذكاء الاصطناعي مع الحرص على احترام حقوق الأفراد وحماية البيانات الشخصية⁽²⁾. إن هذا يتطلب إعلاناً صريحاً عن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي كأدوات مساعدة، وليس كمؤلف رئيسي.

(1) Hidalgo Suarez, C. G., Bucheli-Guerrero, V., & Ordóñez-Eraso, H. (2023). Artificial intelligence and computer-supported collaborative learning in programming: A systematic mapping study. <https://www.researchgate.net/publication/370123456>

(2) المندلاوي، علاء عبد الخالق وعبد، إسراء نجم (2025). منهجية البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: الأدوات والتقنيات المتكثرة. دار السرد، بغداد.

2. التحيز الخوارزمي وتأثيره على العدالة المعرفية:

يعد التحيز الخوارزمي واحدًا من أبرز التحديات التي تواجه تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث. ينشأ هذا التحيز نتيجة تدريب الخوارزميات على مجموعات بيانات تاريخية أو غير ممثلة بشكل عادل لجميع الفئات، مما يؤدي إلى نتائج متحيزة أو تمييزية. وقد ألمحت دراسات مثل دراسة أبو عيشة⁽¹⁾ ودراسة (Mehrab et al.)⁽²⁾ إلى أمثلة عملية على تحيزات خوارزمية في الصحة، حيث أدت البيانات غير المتوازنة إلى نتائج أدق للمرضى البيض مقارنةً بالأقليات، ما يدعو للانتباه إلى تمثيل جميع الفئات في مجموعات البيانات، هذا التحدي يفرض على الباحثين مسؤولية تدقيق مصادر البيانات والتحقق من حيادية النماذج المستخدمة.

3. حدود مسؤولية الباحث والملكية الفكرية وإعادة تعريف الدور:

يثير دمج الذكاء الاصطناعي تساؤلات حول من يتحمل المسؤولية الكاملة عن الأخطاء البحثية أو النتائج غير الدقيقة: هل هو الباحث الذي استخدم الأداة أم مطور الخوارزمية؟ إضافة إلى ذلك، تشكل الملكية الفكرية تحديًا كبيرًا، حيث أن النصوص والنتائج التي يولدها الذكاء الاصطناعي قد تقع في منطقة رمادية قانونية فيما يخص حقوق النشر.

يجب التأكيد على أن الدور الإشرافي والتفسيري والتحليلي النهائي يظل مسؤولية الباحث البشري، الذي يجب أن يعلن بوضوح عن حدود مساهمة الآلة. في هذا الإطار يتحول دور الباحث من "منفذ للمهام الآلية" إلى "مفكر، موجه، ومدقق نقدي" لمخرجات الآلة. فالمواد التي تولدها تطبيقات الذكاء الاصطناعي يجب أن تُعامل كـ "مسودة أولية" أو "أداة مساعدة"، تتطلب بالضرورة تحققاً مكثفًا، وتفسيراً، وإعادة صياغة كاملة من قبل الباحث البشري لضمان النزاهة والملكية الفكرية الكاملة.

4. فقدان المهارات البحثية:

الاعتماد الزائد قد يؤدي إلى تراجع مهارات التفكير النقدي وصياغة الفرضيات لدى الباحثين.

(1) أبو عيشة، محمود (2020). التحيز في خوارزميات الذكاء الاصطناعي: الأسباب والحلول. مجلة التطور التكنولوجي، (1)14.

(2) Mehrabi, N., Morstatter, F., Saxena, N., Lerman, K., & Galstyan, A. (2019). A survey on bias and fairness in machine learning. arXiv. <https://arxiv.org/pdf/1908.09635.pdf>

وقد دعمت الدراسات الحديثة هذه المخاوف المنهجية والأخلاقية. مثل دراسة رمضان⁽¹⁾ والتي هدفت إلى الكشف عن واقع استخدام الذكاء الاصطناعي والتحديات التي تواجه الباحثين، مؤكدة على ضرورة الحذر من التهديدات التي يجب على الباحث التربوي النظر إليها ووضعها موضع الاهتمام.

وأيضاً دراسة شحاتة وشحاتة⁽²⁾ والتي هدفت إلى إبراز دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دعم البحث العلمي، والكشف عن التحديات المتعلقة بالخصوصية والأمن والاعتبارات الأخلاقية، ودراسة أحمد وحجازي⁽³⁾ إلى التعرف على أدوات الذكاء الاصطناعي القابلة للاستفادة منها والتحديات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في استخدامها. علاوة على ذلك، عرضت دراسة السعيد⁽⁴⁾ أن نموذج Chat GPT، رغم كل ما يقدمه، يصاحبه تهديدات محتملة لنظام التعليم والبحث التقليدي، مما يعزز الحاجة لإطار تنظيمي يضمن الاستخدام المسؤول.

المحور الخامس: نحو مستقبل "الذكاء التعاوني": مقارنة تكاملية لتوجيه البحث العلمي

تتطلب مواجهة التحديات المنهجية والأخلاقية تجاوز النظرة الثنائية التي تضع الإنسان والآلة في حالة تنافس، وتبني مفهوم "الذكاء التعاوني" أو "التآزر الإنساني الحاسوبي". يتطلب المستقبل نموذجاً تكاملياً يوازن بين القدرات الحاسوبية والحكم الأخلاقي البشري. يقوم هذا النموذج على:

1. النموذج التكاملي للبحث العلمي:

يجب أن يقوم التصور المستقبلي على الذكاء التعاوني بين الباحث والأداة التقنية. هذا النموذج لا يرى الذكاء الاصطناعي كبديل للعقل البشري، بل كشريك يضخم قدراته. فبينما تتولى الآلة المهام التحليلية والآلية الضخمة (مثل الكشف عن الأنماط والتصنيف)، يتولى الباحث المهام العليا التي تتطلب التفكير النقدي، والحدس الأخلاقي، والإبداع في صياغة الأسئلة، وتفسير المعاني الكلية للنتائج.

(1) رمضان، شيماء عماد. (2024). تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي (الفرص والتحديات). مرجع سابق.

(2) شحاتة، باسم أحمد وشحاتة، ياسر أحمد (2024). دور الذكاء الاصطناعي في تطوير العملية التعليمية والبحث العلمي في الجامعات "دراسة ميدانية في جامعة المنصورة، كلية الآداب: جامعة بورسعيد، المجلد (29).

(3) أحمد، ماهر محمد وحجازي، ياسين علي. (2023). استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي. مرجع سابق.

(4) السعيد، رضا مسعد (2023) مرجع سابق.

2. الضرورة الأخلاقية: وضع مدونات سلوك عالمية

لضمان التوازن بين الابتكار والمصداقية، يجب تبني إرشادات أخلاقية صارمة، وعمل إطار شامل يضمن توافق تطبيقات الذكاء الاصطناعي مع القيم الإنسانية الأساسية. وقد أوصت اليونسكو في "التوصية بشأن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"⁽¹⁾ بضرورة تطوير إطار تنظيمي يضمن الشفافية والمساءلة والعدالة في استخدام هذه التقنيات. يجب على المؤسسات الأكاديمية تطوير مدونات أخلاقية محددة تلزم الباحثين بالإفصاح عن استخدامهم لأدوات الذكاء الاصطناعي، وتقييم التحيز الخوارزمي في البيانات، وتحمل المسؤولية الكاملة عن المخرجات النهائية للبحث.

3. إعادة تعريف دور الباحث:

يتطلب عصر الذكاء الاصطناعي إعادة تعريف لدور الباحث. لم يعد الباحث مجرد "منفذ" للمنهجية، بل يتحول إلى "مفكر، موجه، ومنظم" للعملية البحثية. مهمته الأساسية تكمن في تحديد الإطار المعرفي والأخلاقي، وتوجيه قدرات الذكاء الاصطناعي نحو خدمة الأهداف العلمية والإنسانية النبيلة، وضمان أن التطور التقني يخدم العدالة المعرفية وليس العكس.

الخاتمة والتوصيات:

يخلص البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي يعد أداة قوية لتطوير البحث العلمي، شرط أن ترافقه رقابة أخلاقية ومنهجية، وتدريب مستمر للباحثين. كما ينبغي على المؤسسات الأكاديمية تبني سياسات وضوابط واضحة بشأن استخدام هذه الأدوات، وأن يُعاد تعريف دور الباحث من "منفذ" إلى "موجه ومنظم". فالتكامل بين العقل البشري والقدرات الحاسوبية هو المفتاح لتحقيق الابتكار المعرفي المستدام.

التوصيات:

1. ضرورة تطوير مدونات أخلاقية محددة لاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في الأوساط الأكاديمية لضمان العدالة والشفافية.
2. دمج محو الأمية الرقمية والأخلاقية في المناهج البحثية لتأهيل الباحثين للتعامل النقدي مع مخرجات الآلة الذكية.

(1) UNESCO. (2021). Recommendation on the ethics of artificial intelligence. UNESCO. <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000381137>

3. تشجيع الأبحاث المنهجية التي تركز على تصميم أدوات ذكاء اصطناعي خالية من التحيز (Bias-Free AI) في سياق البيانات العربية والمحلية.

4. إلزام الباحثين بالإفصاح عن استخدامهم لأدوات الذكاء الاصطناعي في البحث، وتحديد دورها بدقة كأداة مساعدة، وليس كشريك في التأليف، وتحمل المسؤولية الكاملة عن التفسير والنتائج النهائية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو عيشة، محمود (2020). التحيز في خوارزميات الذكاء الاصطناعي: الأسباب والحلول. مجلة التطور التكنولوجي، (1)14.

2. أحمد، ماهر محمد وحجازي، ياسين علي. (2023). استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي: دراسة تحليلية. المجلة العربية الدولية لتكنولوجيا المعلومات والبيانات، 3(4).

3. رمضان، شيماء عماد. (2024). تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي (الفرص والتحديات). مجلة الذكاء الاصطناعي وأمن المعلومات، 2(5).

4. السعيد، رضا مسعد (2023). تطبيقات نماذج الذكاء الاصطناعي (Chat GPT) في المناهج وطرق التدريس: الفرصة المتاحة والتحديات المحتملة. مجلة تربويات الرياضيات، 26(4).

5. شينار، سامية وعبد الوهاب، مداسي (2020). أخلاقيات البحث العلمي في ظل التطور التكنولوجي. مجلة سوسيولوجيا، 4(2).

6. شحاتة، باسم أحمد وشحاتة، ياسر أحمد (2024) دور الذكاء الاصطناعي في تطوير العملية التعليمية والبحث العلمي في الجامعات "دراسة ميدانية في جامعة المنصورة، كلية الآداب: جامعة بورسعيد، المجلد (29).

7. المندلاوي، علاء عبد الخالق وعبد، إسراء نجم (2025). منهجية البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: الأدوات والتقنيات المبتكرة. دار السرد، بغداد.

8. العاني، عبد القاهر داود (2014). منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية. دار وحي القلم، الطبعة الأولى (2014).

9. العاصي، أحمد (2021). تقييم خبراء الإعلام للأبعاد الأخلاقية والمهنية للذكاء الاصطناعي في الإعلام الرقمي: (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة.

1. Hidalgo Suarez, C. G., Bucheli-Guerrero, V., & Ordóñez-Eraso, H. (2023). Artificial intelligence and computer-supported collaborative learning in programming: A systematic mapping study. <https://www.researchgate.net/publication/370123456>
2. Mehrabi, N., Morstatter, F., Saxena, N., Lerman, K., & Galstyan, A. (2019). A survey on bias and fairness in machine learning. arXiv. <https://arxiv.org/pdf/1908.09635.pdf>
3. Prahani, B., et al. (2022). Artificial intelligence in education research during the last ten years: A review and bibliometric study. *International Journal of Emerging Technologies in Learning (iJET)*, 17(8), 169–188. <https://www.online-journals.org/index.php/i-jet/article/view/25082>
4. UNESCO. (2021). Recommendation on the ethics of artificial intelligence. UNESCO. <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000381137>

انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء

The repercussions of poor family adaptation on children's academic achievement

د. بلببوض لامية (جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر)

Dr. Belabiod Lamia (University of 8 May 1945 Guelma , Algeria)

43

Abstract:

The family environment is considered one of the institutions of society. It plays a pivotal role in building personalities and shaping the values and principles that individuals adopt. It is the first place where a child learns how to interact with the world around him, and it greatly affects his behavior and relationships. Family relationships are considered one of the most important factors that determine the quality of the family's psychological life, through effective communication, understanding, cohesion and stability, it can create a healthy environment that enhances the personal and educational growth of its members.

A family environment characterized by poor adaptation reflects negatively and directly on children, especially in their academic and educational aspects, because the absence of emotional deprivation, the prevalence of family instability, and the turbulent atmosphere destroy the foundation on which academic success is built, they make children vulnerable to a set of psychological and behavioral challenges that hinder their concentration and educational attainment, which confirms that the health of the family environment is the decisive factor in determining the future path of children at various levels, from this standpoint, this study came in an attempt to shed light on the repercussions of poor family adjustment on children's academic achievement by reading and analyzing a group of previous studies that dealt with this topic from various aspects.

Key words: Adaptation, Family adaptation, Poor family adaptation, Academic achievement.

مستخلص:

تعتبر البيئة الأسرية من مؤسسات المجتمع، تلعب دوراً محورياً في بناء الشخصيات وتشكيل القيم والمبادئ التي يتبناها الأفراد، فهي أول مكان يتعلم فيه الطفل كيفية التفاعل مع العالم من حوله، وتؤثر بشكل كبير على سلوكه وعلاقاته، فالعلاقات الأسرية تعتبر من أهم العوامل التي تحدد جودة الحياة النفسية للعائلة، من خلال التواصل الفعال والتفاهم، التماسك والاستقرار الذي يمكن من بناء بيئة صحية تعزز النمو الشخصي والتعليمي لأفرادها.

فالبيئة الأسرية التي تتسم بسوء التكيف، تنعكس سلباً وبشكل مباشر على الأبناء، لا سيما في جوانبهم الأكاديمية والتعليمية، لأن غياب الحرمان العاطفي وشيوع عدم الاستقرار الأسري والجو المضطرب يهدمان الأساس الذي يُبنى عليه النجاح الدراسي، ويجعلان الأبناء عرضة لمجموعة من التحديات النفسية والسلوكية التي تعيق تركيزهم وتحصيلهم العلمي، مما يؤكد على أن صحة البيئة الأسرية هي العامل الحاسم في تحديد المسار المستقبلي للأبناء على مختلف الأصعدة، من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة في محاولة لتسليط الضوء على انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء من خلال قراءة وتحليل مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع من مختلف الجوانب.

الكلمات المفتاحية: التكيف، التكيف الأسري، سوء التكيف الأسري، التحصيل الدراسي.

1- مقدمة:

تعد الأسرة الحاضنة الأولى والبيئة الأساسية، لها أدوار رئيسية في حياة المتعلم اليومية ونموه الجسدي والعقلي والنفسي والعاطفي، إذ تساهم بشكل جلي في التطورات التي تحدث في حياته منذ نشأته، وتلقنه المبادئ الأساسية كما على تنشئته تنشئة سليمة.

فدور الأسرة في حياة الطفل يمثل منعطفاً في حياته التعليمية، فالتحفيز الذي يقوم به الوالدين تجاه ابنهم يزيد بشكل واضح في تحصيله الدراسي، وتزيد من ثقته بنفسه، وهذا الاهتمام يعزز مكانته داخل مجموعة الرفاق وكذا المدرسة.

أما إذ عجزت الأسرة عن تلبية ذلك فإنه ينشأ نوع من الصراع داخلها يؤدي إلى ظاهرة "سوء التكيف الأسري" وما ينطوي عليه من خلافات أسرية، التفكك، الحرمان العاطفي، سوء الاتصال الأسري، سوء إشباع الحاجات النفسية للأبناء، يلقي بظلاله الثقيلة على الصحة النفسية والعاطفية للأبناء، وينعكس على حياتهم المدرسية من حيث التكيف والتحصيل الدراسي.

إن التحصيل الدراسي ليس مجرد نتاج للقدرات العقلية للطفل فحسب، بل هو سلوك إنساني وعملية تربوية تنبع من ذات الفرد، فلا شك أنها تتأثر بما تعيشه نفسية الفرد من حالات يمر بها وتعاينها، فمثلا عدم الاستقرار النفسي والانفعالي للطفل يعد عاملا مشوشا على عملية التحصيل الدراسي له.

هذا الخلل الوظيفي في الدور التربوي للأسرة يؤدي حتماً إلى انخفاض مستوى مساهمتها في عملية التنشئة الاجتماعية السليمة، ما يجعل الأبناء يواجهون تحديات كبيرة في مسيرتهم التعليمية، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول: ما هي انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء؟

2- مفاهيم الدراسة:

2-1- التكيف:

تعرفه موسوعة علم النفس بأنه "عملية التغيير وفقا للظروف التي تحيط بالمرء أو تبعاً لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية"¹.

في حين يعرفه (الهابط، 1987) بأنه "سعي الفرد للتوفيق بين مطالبه وظروفه ومطالب البيئة المحيطة به وظروفها، فالفرد كثيراً ما يجد نفسه في ظروف أو بيئة لا تشبع كل مطالبه وحاجاته، بل قد تكون هذه الظروف والبيئة مصدر إعاقة لإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية"².

وحسب تعريف (ROUMANE) فإن التكيف هو "مجموعة ردود الفعل التي يقوم بها الفرد لتعديل سلوكه للاستجابة بانسجام لظروف البيئة المحددة"³.

¹ رزوق أسعد، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، 1987، ص 84.

² الشخابنة أحمد، التكيف مع الضغوط النفسية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 35.

³ ROUMANE Mohamed, Adaptation scolaire et climat affectif de l'enfant. Etude comparative sur les élèves de l'école primaire (filles et garçons) Ville d'Oran, Algérie, [THESE DOCTORAT]. UNIVERSITE LYON, 1985, P17.

تعريف إجرائي:

عملية سعي الفرد من خلالها لتعديل سلوكه، ليحقق الانسجام بينه وبين تغيرات البيئة التي يعيش فيها.

2-2 التكيف الأسري:

هو تمتع الفرد بحياة سعيدة داخل أسرة تقدره وتحبه وتحنون عليه، مع شعوره بدوره الحيوي داخل الأسرة واحترامها له، وأسلوب التفاهم فيها هو الأسلوب السائد، وما توفره له أسرته من إشباع لحاجاته وحل مشكلاته الخاصة، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الثقة بالنفس وفهم ذاته، وأن تحسن الظن به وتقبله ومساعدته في إقامة علاقة التواد والمحبة¹.

كما يتضمن التكيف الأسري السعادة الأسرية التي تتمثل في الاستقرار والتماسك الأسري، والقدرة على تحقيق مطالب الأسرة وسلامة العلاقات بين الوالدين كليهما وبينهما وبين الأبناء وسلامة العلاقة بين الأبناء، حيث تسود المحبة والثقة والاحترام المتبادل بين الجميع².

في حين يعرفه (الدعدي) بأنه "قدرة أفراد الأسرة على الانسجام معاً، وإحساسهم بالسعادة والراحة في نطاق الحياة الأسرية، وإقامة علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين والتي تتسم بالحب والعطاء من ناحية، والعمل المنتج الذي يجعل من الفرد شخصاً فعالاً وناجحاً في محيطه الاجتماعي من ناحية أخرى³."

تعريف إجرائي:

هو قدرة أفراد الأسرة على الانسجام معاً والإحساس بالسعادة والراحة والتفاعل المتبادل ما بين أفرادها.

3-2 سوء التكيف الأسري:

يأخذ علماء النفس سوء التكيف الأسري بمعنيين:

المعنى الأول: يجعل التكيف "حالة" يظهر في عدم تألف أفراد الأسرة، والاختلاف والتنافر، وعدم اجتماع كلمتهم حول أمور الأسرة، وعدم الرضا عنها.

¹ مصطفى يامن سهيل، العنف الأسري وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2020، ص 85.

² بطرس حافظ، الصحة النفسية للطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2008، ص 116.

³ الدعدي غزلان شمس، الضغوط النفسية والتوافق الأسري والزواجي لدى عينة من آباء وأمهات الأطفال المعاقين تبعاً لنوع ودرجة الإعاقة وبعض المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2009، ص 34.

المعنى الثاني: يجعل التكيف "عملية" يظهر في عدم إشباع الحاجات، ومواجهة المشكلات، وعدم تحمل الضغوط، حيث تكون سلوكيات أفراد الأسرة وأهدافهم غير مُرضية نفسياً وغير مقبولة اجتماعياً في مواجهة ما يحدث في الأسرة من أحداث يومية أو أحداث طارئة¹.

تعريف اجرائي:

هو عدم الاستقرار في العلاقات الأسرية وسوء التفاهم الذي ينعكس على شخصية الأبناء.

4-2 التحصيل الدراسي:

هو حصيلة ما يكتسبه التلميذ من العملية التعليمية من معارف ومعلومات وخبرات ونتيجة لجهد المبذول خلال تعلمه بالمدرسة أو مذاكرته في البيت أو ما اكتسبه من قراءته الخاصة في الكتب والمراجع ويمكن قياسه بالاختبارات المدرسية العادية في نهاية العام الدراسي ويعبر عنه التقدير العام لدرجات التلميذ في المواد الدراسية².

كما يعتبر التحصيل الدراسي معيار من المعايير الأساسية التي يمكن في ضوءه تحديد المستوى التعليمي للتلاميذ، حيث أنه مدلول لإتقان المعلومات المكتسبة من قبل العملية التعليمية، ومن خلال هذا المعيار الخاص بالتحصيل الدراسي يمكن التعرف على نواتج العملية التعليمية والتربوية لهؤلاء التلاميذ من خلال المواد الدراسية ومدى إنجازهم لها³.

في حين تعرفه (اسماعيلي)، بأنه "المجموع العام لدرجات التلاميذ لجميع المواد الدراسية، التي حصل عليها في اختبارات معينة معدة من قبل الأستاذ سواء كانت هذه الاختبارات شفوية أو تحريرية، أو كليهما معا⁴.

تعريف إجرائي: هو محصلة الجهد المبذول من التلميذ خلال تعلمه بالمدرسة.

¹ أشرف عبد المنعم أحمد وآخرون، فاعلية الأنشطة البدنية على مستوى التوافق النفسي لطلاب جامعة طبرق، (11)، المجلة الليبية العالمية، 2016، ص 10.

² الفاخري سالم عبد الله، التحصيل الدراسي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2018، ص 11.

³ الشهاوي هناء ابراهيم، اضطراب قصور الانتباه المصحوب بالنشاط الزائد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2018، ص 109.

⁴ اسماعيلي يامنة عبد القادر، أنماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي، دار اليازوري العلمية، 2019، ص 39.

- أنواع التحصيل الدراسي:

تتجلى مظاهر التحصيل الدراسي لدى التلاميذ في ثلاث مستويات، حيث يمكن للتلميذ الحصول على علامات جيدة أو متوسطة، أو ضعيفة وهي كما يلي:

1- التحصيل الدراسي الجيد:

يكون فيه أداء المتعلم مرتفعاً عن معدل زملائه في نفس المستوى وفي نفس القسم، ويتم باستخدام جميع القدرات والإمكانيات التي تكفل له الحصول على مستوى أعلى للأداء التحصيلي المرتقب منه.

2- التحصيل الدراسي المتوسط:

هذا النوع تكون الدرجة التي يتحصل عليها المتعلم تمثل نصف الإمكانيات التي يمتلكها، ويكون أداؤه متوسطاً، ودرجة احتفاظه واستفادته من المعلومات متوسطة.

3- التحصيل الدراسي المنخفض:

هذا النوع يكون فيه الأداء أقل من المستوى العادي بالمقارنة مع بقية زملاء، فنسبة استغلال المتعلم واستفادته مما تقدم من المقرر الدراسي ضعيفة إلى درجة الإنعدام، وفي هذا النوع من التحصيل يكون استغلاله لقدراته العقلية والفكرية ضعيفا على الرغم من تواجد نسبة لا بأس بها من القدرات¹.

3- الدراسات السابقة:

دراسة "الجوارنة عبد الرحمان، 2024" والتي هدفت إلى التعرف على أثر البيئة المدرسية والمناخ الأسري في تعزيز التحصيل الدراسي لدى الطلاب في المدارس الابتدائية، تكونت العينة من (30 فرداً) من المدرسين وادارات المدرسية والأولياء، تم استخدام المنهج النوعي القائم على المقابلات والملاحظات الميدانية، أسفرت نتائج الدراسة إلى:

أن البيئة المدرسية والأسرة لهما دوراً واضحاً في المستوى التحصيلي لطلبة المدارس الابتدائية الحكومية من خلال المتغيرات (الوضع الاقتصادي، المستوى التعليمي، واستقرار الأسرة)، حيث أن الأسرة التي تسودها

¹ الجنابي عبد مرزوك وأبو خمرة عبد الله، المعتقدات المعرفية وتقدير الذات والتحصيل الدراسي (دراسة ميدانية)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2021، ص126.

الخلافات أو المشاكل العائلية كالطلاق تكون مضطربة عاطفياً مما يدفع إلى عدم الاستقرار، وهذا من شأنه إيجاد اضطرابات نفسية لدى التلميذ بالشكل الذي قد يؤثر على إقباله واستيعابه للمواد الدراسية، وبالتالي تحصيله الدراسي، عكس التلميذ الذي يعيش في جو عائلي يسوده الاستقرار والاطمئنان والتفاهم.

دراسة "خطارة رشيدة، 2022" والتي هدفت إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والتوافق النفسي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط، وقد تكونت العينة من (285) تلميذا منهم (134) ذكور، (151) إناث، تم استخدام المنهج الوصفي ومقياس للمعاملة الوالدية ومقياس للتوافق النفسي، وقد أسفرت الدراسة عن وجود علاقة موجبة بين الأساليب السوية للمعاملة الوالدية والتوافق النفسي، ووجود علاقة سالبة بين الأساليب غير السوية للمعاملة الوالدية والتوافق النفسي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط.

فيما قام " العامري ضيف الله سعيد، 2022" بدراسة هدفت لمعرفة أثر التواصل الأسري في التحصيل الدراسي للأبناء، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من 80 طالبا من طلاب الصف الثالث ثانوي، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- وجود ترابط بين التواصل الأسري والتحصيل الدراسي للطلاب.

- غياب التواصل يؤثر على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب.

- أن للاستقرار الأسري دور إيجابي في زيادة التحصيل الدراسي لدى الأبناء.

- الترابط العاطفي والجو الأسري المستقر يساهم في زيادة التحصيل الدراسي للطلاب.

كما أجرت "بلبيوض وحرقات، 2021" دراسة هدفت إلى معرفة مدى تأثير الحرمان العاطفي على مستوى التحصيل الدراسي لدى المراهقين المتمدربين بالمرحلة الثانوية، حسب وضعية الوالدين الحياتية، وقد تكونت عينة الدراسة من 100 تلميذا (45 ذكور-55 إناث)، وتم الاعتماد على المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى أن غياب الأم يؤثر على مستوى التحصيل الدراسي للمراهقين المتمدربين، كما يؤثر غياب الأب على مستوى التحصيل الدراسي، كذلك يؤثر غياب كلا الوالدين على مستوى التحصيل الدراسي للمراهقين المتمدربين.

فيما قامت دراسة "عليوات، 2010" إلى معرفة العلاقة بين المناخ الأسري وعلاقته بالتفوق الدراسي لدى المراهق المتمدرب، وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي، حيث أجريت الدراسة على عينة تكونت من (300) مراهقا: ذكور وإناث، وقد أسفرت النتائج عن:

- توفر الأمان الأسري عامل أساسي جد مساعد للمراهق على تحقيق التفوق الدراسي.

- وضوح الأدوار بين الأب والأم والأبناء في الأسرة له أهمية كبيرة في تجنب حدوث الصراع والخلاف داخل الأسرة في تحفيز المراهق للتفوق الدراسي.

دراسة "بغداد خيرة، 2020" هدفت للكشف عن أبعاد وآثار غياب التواصل داخل الأسرة على الأبناء، حيث أجريت الدراسة على عينة من الأسر بمنطقة الجنوب الشرقي بقرقلة، وتم الاعتماد على المنهج الوصفي، وقد توصلت الدراسة إلى أن التواصل في الأسرة غير موجود بين الزوجين بغيابه فإن المستوى التعليمي للطفل ضعيف، نتيجة غياب الرقابة من طرف الآباء، إضافة إلى ذلك فإن أفراد العينة يؤكدون على الشجار المتواصل بينهم وذلك بسبب تبني الرأي الواحد وهذا الأخير يعني عدم وجود حوار بين الطرفين بل تعصب للرأي نحو اتجاه واحد.

تعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرض الدراسات السابقة نلاحظ أن كل الباحثين في هذه الدراسات قد اهتموا بالتحصيل الدراسي للأبناء وبالعوامل المؤثرة عليه، حيث ركزوا على متغيرات مهمة لها علاقة بسوء تكيف الأسرة، كالحرمان العاطفي، المناخ الأسري، أساليب المعاملة، التواصل الأسري، وهو ما يدعم الدراسة الحالية حول انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء.

4- انعكاسات سوء التكيف الأسري على التحصيل الدراسي:

تشكل العلاقة بين التكيف الأسري والتحصيل الدراسي محوراً أساسياً في فهم ديناميكية نمو الأبناء، حيث تعد الأسرة المتكيفة بيئة صحية توفر للأبناء الدعم العاطفي والمادي والتواصل الفعال، والثقة بالنفس، مما ينعكس إيجاباً على قدرتهم على التركيز والتعلم والمشاركة في الأنشطة المدرسية.

على النقيض، يؤثر سوء التكيف الأسري سلباً على الأداء الدراسي للأبناء من خلال الصراعات الأسرية المستمرة، الإهمال العاطفي، عدم الاتصال الأسري، غياب الدعم الأبوي الذي يؤدي إلى شعور الأبناء بالتوتر والقلق والاكتئاب، مما يشتت انتباههم ويقلل من دافعيتهم للتعلم، وفيما يلي أهم أنماط سوء التكيف الأسري المؤثرة على التحصيل الدراسي للأبناء:

1-4 تأثير الحرمان العاطفي على التحصيل الدراسي للأبناء:

الحرمان العاطفي هو "فقدان العلاقة مع الوالدين أو أحدهما، نتيجة لغيابهما الفيزيقي، وهو ما يختلف عن النبذ أو التسبب والإهمال الذي يحدث في الأسر المتصدعة حيث الوالدين موجودان، إلا أنهما لا يقومان بواجب الرعاية بالنوعية المطلوبة"¹.

قد يتعرض الأطفال للحرمان من الأب أو الأم أو من الأبوين معاً سواء كان الحرمان بالانفصال، الطلاق، أو الموت فيقلب الجو الأسري الذي يعيشه الطفل في كنفه إلى جو اجتماعي غير مستقر، ويتميز بالتوتر واضطراب العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، بل إن الطفل يشعر بالوحدة والضياع والقلق والاحباط وفقداً للأمن والسند ما يؤدي إلى توتر علاقاته وسوء تكيف.

ويؤكد روني سبيتز (René spits 1976) من خلال دراسته التي دامت سنتين، بين من خلالها أهمية وجود الأم في حياة الطفل وخاصة في السنة الأولى، أخذ الباحث عينتين من الأطفال، العينة الأولى متواجدة في الملجأ والعينة الثانية متواجدة في دار الحضانة، بين الباحث أن نوعية العلاقة التي يقيمها الطفل مع أمه هي التي تحدد كيفية نموه النفسي، فأطفال العينة الأولى تقدم لهم ممرضة واحدة العناية بهم طوال مدة الدراسة، أما أطفال العينة الثانية فالأمهات هن اللواتي يقمن برعايتهم.

توصل الباحث إلى أن أطفال العينة الأولى ظهرت عليهم أعراض القلق والحزن والأرق والحرمان، أما أطفال العينة الثانية فكانوا طبيعيين.

كل هذه الصور للحرمان يمكن أن تؤدي إلى ضعف التحصيل الدراسي للطفل، فالجو الأسري المضطرب والحياة الأسرية المتصدعة تقف حاجزاً أمام إقبال الطفل على الدراسة بثقة كافية في قدراته وإمكانياته التحصيلية، والإقبال على الدراسة بحماس وطموح².

¹ حجازي مصطفى، الصحة النفسية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ط2، ص 172.

² سعودي نوال، الشعور بالوحدة النفسية لدى الطفل اليتيم المحروم عاطفياً في المرحلة التحضيرية من 4 إلى 6 سنوات، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، (1)، 2015، ص 137.

ومن النتائج التي أجرتها العديد من الدراسات حول الحرمان العاطفي، فقد أكدت جميعها نتيجة واحدة وهي أنه يعد من أكثر العوامل النفسية تأثيراً وبشكل كبير على عملية التحصيل الدراسي للطفل، وربما على توازن شخصيته كلها.

فالتلاميذ الذين يعانون من الحرمان العاطفي تكون دافعيتهم منخفضة رغم أنهم يتميزون بذكاء مرتفع وبالتالي تحصيلهم الدراسي منخفض، والعكس نجد تلاميذاً متوسطي القدرة ومع ذلك يتميزون بتحصيل دراسي عالي وهذا يرجع إلى توفر الجانب العاطفي والحنان العائلي مما يجعل الدافعية للتحصيل عالية.

2-4 تأثير الاتصال الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء:

الاتصال الأسري هو " الطريقة التي يتواصل بها أفراد الأسرة فيما بينهم، وكذلك التفاعل المتبادل بين الوالدين وأبنائهم من خلال الاتصال وتبادل الواجبات والحقوق"¹.

باعتبار الأسرة تشكل بنية من شبكة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تربط بين أفرادها، ولما لها من أهمية في حياة الطفل من كل الجوانب وأهمها الجانب الدراسي، فقد أكدت الدراسات أن الأسرة تعتبر من أهم العوامل التي تؤثر في نجاح وتفوق الأبناء دراسياً من خلال الاتجاهات الوالدية ومن خلال طبيعة الاتصال الممارس داخلها، ومدى سعي الوالدين لتوفير كل ما من شأنه تنمية استعداداتهم ومواهبهم.

وإن لغياب هذا الاستقرار ما بين أفراد الأسرة عدة آثار منها:

- التفكك في العلاقات الأسرية.
- انعدام الثقة بين أفراد الأسرة.
- إن غياب الاتصال الأسري يجعل الأسرة مشحونة ومتوترة بشكل دائم.
- عدم استماع وإصغاء الآباء لأبنائهم يجعل الأبناء يبحثون عن البديل في الخارج، مما يجعل منهم فريسة لأصحاب السوء.

¹ العامري ضيف الله سعيد، التواصل الأسري وأثره على التحصيل الدراسي للأبناء (دراسة مسحية على عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة جدة)، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 2022، ص224.

وقد أكدت العديد من الدراسات على أهمية التواصل الأسري، ومن بينها نتائج دراسة "بلحوري وبوزيد 2017" التي أكدت على وجود علاقة بين طبيعة الاتصال الأسري والتفوق الدراسي للأبناء، حيث أنه كلما كان التفاعل الأسري إيجابيا وجيدا تتوفر فيه كل الظروف المريحة والمساعدة على الدراسة كان تحصيل الأبناء جيدا، وعلى العكس من ذلك فكلما كان التفاعل الأسري غير فعال وفسد افتقر الأبناء إلى الأمان والاستقرار، وبالتالي يكون ذلك عائقا أمام تفوقهم الدراسي.

3-4 تأثير أساليب المعاملة على التحصيل الدراسي للأبناء:

أساليب المعاملة هي "مجموعة من الأساليب السوية مثل أسلوب التشجيع، التقبل، الاهتمام، وغير السوية مثل أسلوب التسلط، التفرقة، الإهمال، المنتهجة من طرف الوالدين في تفاعلهم مع أبنائهم في مواقف الحياة اليومية والتي سوف تؤثر على تحقيق نموهم النفسي وبناء شخصيتهم المستقبلية"¹.

فأساليب المعاملة تعتبر سلاحا ذو حدين حيث يمكن أن يدفع بالطفل إلى الرغبة في النجاح، ومن ناحية أخرى قد يؤدي إلى عدم قيام الابن بأي مجهود وانعدام الشعور بالرغبة في النجاح لديه، فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن المطالب التي تفرضها الأسرة على الطفل بالاهتمام به وبرغباته وميوله، وقدراته الشخصية وموقف الوالدين منه، والطرق المتبعة والقيم المطبقة في عملية التنشئة الاجتماعية كلها تختلف اختلافا واضحا من أسرة إلى أخرى ومن مستوى اجتماعي لآخر، كلها عوامل قد تؤثر على الطفل وعلى تحصيله الدراسي وكذا اتجاهاته نحو التعليم والمدرسة بصفة عامة².

وهو ما أكدت عليه العديد من نتائج دراسات (أساليب المعاملة) والتي توصلت مجملها إلى أن لأساليب المعاملة الوالدية أهمية بالغة في حياة الأبناء من حيث تكوينهم النفسي والاجتماعي، فإذا كانت هذه الأساليب المتبعة من قبل الوالدين هدامة أي تثير مشاعر الخوف والإحساس بالنقص وعدم الشعور بالأمان النفسي، فإنه يترتب عليها اضطرابات نفسية واجتماعية تنعكس على حياتهم العلمية والاجتماعية والدراسية وبالتالي تدني مستواهم وتفوقهم الدراسي.

¹ خطارة رشيدة، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى تلاميذ الرابعة متوسطة-دراسة ميدانية بمدينة غرداية، مجلة العلوم النفسية والتربوية، (2)، 2022، ص41.

² عباس ولقمش، المعاملة الوالدية وتأثيرها على التحصيل الدراسي للأبناء، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، (3)، 2020، ص273.

أما إذا كانت الأساليب بناءة أي مفعمة بالحب والحنان والتفاهم والتآلف والدفء العائلي أدت إلى تنشئة أبناء يتمتعون بالصحة النفسية، وبالتالي تنعكس على حياتهم العلمية والدراسية، وتؤدي بهم لتحقيق النجاح والتفوق الدراسي والاستمرار فيه.

وهو ما أثبتته دراسة "عباسة ولقمش" أن الأساليب التي يعتمدها الآباء تنعكس بالإيجاب على التحصيل الدراسي للأبناء، ويفسر ذلك بالمعاملة الطيبة التي يقدمها الآباء لأبنائهم من خلال متابعتهم باستمرار وتشجيعهم على التعلم ودفعهم للاستكشاف حسب ما تسمح به قدراتهم وإمكانياتهم.

في حين أن أسلوب التفرقة الذي يترجم بعدم المساواة بين الأبناء وتفضيل بعضهم على بعض من قبل الآباء، يجعل الابن يعاني من النقص والهروب من الواقع، ما يدفعه إلى إهمال دراسته كي يتسنى له إشباع مركب للنقص من خلال تكوين جماعات رفقاء السوء...إلخ.

4-4 تأثير المناخ الأسري على التحصيل الدراسي للأبناء:

المناخ المدرسي هو "مجموعة من التفاعلات القائمة بين أفراد الأسرة والتي تتمثل في طبيعة العلاقات السائدة وأسلوب إشباع الحاجات الإنسانية، وكيفية حل النزعات التي تحدث بينهم وتؤثر بذلك في سلوك كل منهم وتكيفه، وصحته النفسية"¹.

فالجو الأسري غير السوي السائد داخل الأسرة يكون مشحوناً بالخلافات والتوترات، يؤثر سلباً في شخصية الأفراد ويترتب على هذا ضعف دافعية التلميذ للإنجاز والتفوق والتحصيل وعدم التمتع بحرية التعبير عن أفكاره وآرائه، وعدم الاهتمام بالنواحي الثقافية والعلمية وضعف في الأداء الأكاديمي.

وهو ما أكدته نتائج دراسة "لهزيل وغريب، 2019" أن التلاميذ المتفوقين دراسياً ينتمون إلى أسر تتمتع بمناخ أسري جيد مما مكّهم وساعدهم على تحقيق التفوق في دراستهم، وعلى العكس من ذلك فإن المناخ الأسري الذي يسوده الصراع وتنعدم فيه عوامل الأمان وتضطرب فيه الأدوار ولا يتم فيه إشباع رغبات

¹ ميرة أمل كاظم، المناخ الأسري وعلاقته بالتكيف الأكاديمي عند طلبة الجامعة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، (33)، 2012، ص 254.

واحتياجات الأبناء، لا يساعد الأبناء على الاهتمام بدراساتهم ولا يحفزهم على تحقيق التفوق فيها وإنما بالعكس يحرمهم من كل فرص الظهور ويهدم فيهم كل رغبة على التحدي وتحقيق النجاح¹.

كما أن العلاقة بين الوالدين تعتبر من أهم العلاقات داخل الأسرة، والتي لها تأثير كبير على التكيف الأسري وعلى نمو الأبناء بشكل سليم، فالعلاقة بين الوالدين عندما تكون مبنية على المحبة والتفاهم والانسجام فإن الطفل يتأثر بها وتحديث له الاستقرار النفسي الذي يساعده في عملية التحصيل الدراسي².

وعليه فإن الأسرة المستقرة التي تشبع حاجات الطفل في اتزان وما تتميز به من تجاوب عاطفي بين أفرادها تعتبر عاملاً مهماً في سعادة الطفل والعكس صحيح، فالأسرة المضطربة تعتبر مرتعاً خصباً للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية ومنه تدني مستواه المعرفي العلمي³، لذا فإن وجود بيئة أسرية مستقرة ومحفزة يعد من الأسس الرئيسية لنجاح الأبناء في دراستهم.

خاتمة:

تُعد البيئة الأسرية المضطربة، بكل تجلياتها من حرمان عاطفي مزمن وانعدام للاستقرار وشيوع للتوتر وغياب للحوار البناء، بمثابة تربة غير خصبة لا يمكن أن يزدهر فيها النمو الأكاديمي والتحصيل الدراسي للأبناء، تتسبب هذه العوامل مجتمعة في إحداث شخ عميق في البنية النفسية للطفل أو المراهق، إذ يجد الأبناء أنفسهم عالقين في دوامة من القلق والشعور بانعدام الأمان، مما يجعلهم غير قادرين على توجيه طاقاتهم العقلية نحو التعلم والتركيز الدراسي، فالحاجة الأساسية للدعم العاطفي والشعور بالانتماء لا تقل أهمية عن الاحتياجات البيولوجية الأساسية، وعندما تُحرم الأسرة أبنائها من هذا الدفء العاطفي، يبدأ الأداء الأكاديمي في التدهور كنتيجة مباشرة للشعور المزمن بالوحدة أو الغضب المكبوت.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المناخ الأسري المشحون بالخلافات وعدم الاستقرار المستمر يحول دون تهيئة بيئة منزلية هادئة ومواتية للدراسة والذاكرة، فيصبح المنزل ساحة معركة أو مكاناً للهروب منه بدلاً من كونه ملاذاً آمناً للتعلم والتطور، كما إن غياب التواصل الفعال بين الآباء والأبناء يقطع جسور الدعم والتوجيه اللازمين

¹ لهزبل محمد وغريب حسين، علاقة المناخ الأسري بالتفوق الدراسي لدى عينة من تلاميذ الثانوي، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، (4)، 2019، ص 244.

² لعامري ضيف الله، التواصل الأسري وأثره على التحصيل الدراسي للأبناء، دراسة مسحية على عينة ممن طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة جدة، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 2022، ص 231.

³ عينة أحمد، مدخل إلى التحصيل الدراسي، مجلة أبحاث، (1)، 2025، ص 40.

لمتابعة الواجبات المدرسية وحل المشكلات التعليمية، مما يدفع الأبناء للبحث عن الاهتمام أو الهروب من الواقع المؤلم عبر سلوكيات بديلة قد تكون مدمرة أو ملهية عن الأهداف التعليمية، وفي نهاية المطاف يكون التحصيل الدراسي هو الضحية الأولى لهذا الخلل الأسري الوظيفي، مع التأكيد أن الصحة النفسية والاستقرار العاطفي هما الركيزتان اللتان يقوم عليهما النجاح الأكاديمي المستدام.

هذا ويمكن تقديم بعض التوصيات التي من شأنها أن تساهم في منح الأسرة والمؤسسة التربوية فهما أوضح وتحكم أفضل لتحسين التكيف الأسري وتعزيز التحصيل الدراسي للأبناء، من خلال:

- توعية الأسرة وتحسيسها بأهمية دورها ومسؤوليتها في توفير الجو الملائم والرعاية السليمة لأبنائها حتى يحققوا تحصيل دراسي جيد.

- تدريب الأولياء على مهارات الحوار مع أبنائهم من خلال دورات تكوينية يشرف عليها أخصائيين نفسانيين وتربويين.

- تعليم الأسرة كيفية التعامل مع الخلافات بصورة بناءة تضمن تقليل المخاطر النفسية التي تؤثر على الأبناء.

- توطيد العلاقات بين الأسرة والمدرسة لمتابعة الأداء الدراسي للأبناء وحل المشكلات النفسية والسلوكية بشكل مبكر.

- على الوالدين تقديم الدعم النفسي والتشجيع المستمر للأبناء لتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتحفيزهم على النجاح.

- على الوالدين تقوية الروابط العائلية من خلال التعبير عن المحبة وقضاء وقت مع أفرادها.

قائمة المراجع:

- 1- أشرف عبد المنعم أحمد وآخرون، فاعلية الأنشطة البدنية على مستوى التوافق النفسي لطلاب جامعة طبرق، (11)، المجلة الليبية العالمية، 2016.
- 2- اسماعيلي يامنة عبد القادر، أنماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي، دار اليازوري العلمية، 2019.

- 3- الجنابي عبد مرزوك وأبو خمرة عبد الله، المعتقدات المعرفية وتقدير الذات والتحصيل الدراسي (دراسة ميدانية)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2021.
- 4- الدعدي غزلان شمس، الضغوط النفسية والتوافق الأسري والزواجي لدى عينة من آباء وأمهات الأطفال المعاقين تبعاً لنوع ودرجة الإعاقة وبعض المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2009.
- 5- الشخابنة أحمد، التكيف مع الضغوط النفسية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- 6- الشهاوي هناء ابراهيم، اضطراب قصور الانتباه المصحوب بالنشاط الزائد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2018.
- 7- العامري ضيف الله سعيد، التواصل الأسري وأثره على التحصيل الدراسي للأبناء (دراسة مسحية على عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة جدة)، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 2022.
- 8- الفاخري سالم عبد الله، التحصيل الدراسي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2018.
- 9- بطرس حافظ، الصحة النفسية للطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2008.
- 10- حجازي مصطفى، الصحة النفسية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2004.
- 11- خطارة رشيدة، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى تلاميذ الرابعة متوسط-دراسة ميدانية بمدينة غرداية، مجلة العلوم النفسية والتربوية، (2)، 2022.
- 12- رزوق أسعد، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، 1987.
- 13- سعودي نوال، الشعور بالوحدة النفسية لدى الطفل اليتيم المحروم عاطفياً في المرحلة التحضيرية من 4 إلى 6 سنوات، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، (1)، 2015.
- 14- عباسة ولقمش، المعاملة الوالدية وتأثيرها على التحصيل الدراسي للأبناء، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، (3)، 2020.
- 15- عينة أحمد، مدخل إلى التحصيل الدراسي، مجلة أبحاث، (1)، 2025.

16- لعامري ضيف الله، التواصل الأسري وأثره على التحصيل الدراسي للأبناء، دراسة مسحية على عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة جدة، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 2022.

17- لهزبل محمد وغريب حسين، علاقة المناخ الأسري بالتفوق الدراسي لدى عينة من تلاميذ الثانوي، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، (4)، 2019.

18- مصطفى يامن سهيل، العنف الأسري وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2020.

19- ميرة أمل كاظم، المناخ الأسري وعلاقته بالتكيف الأكاديمي عند طلبة الجامعة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، (33)، 2012.

20- ROUMANE Mohamed, Adaptation scolaire et climat affectif de l'enfant Etude comparative sur les élèves de l'école primaire (filles et garçons) Ville d'Oran, Algérie, [THESE DOCTORAT]. UNIVERSITE LYON, 1985.

الديمقراطية التشاورية ومبدأ الشرعية في فلسفة يورجن هابرماس

Deliberative Democracy and the Principle of Legitimacy in Jürgen Habermas's Philosophy

ط.د. بوشعيب ضاري (مختبر اللوغوس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني، المغرب)

Bouchaib Dari (Logos Laboratory, Hassan II University of Casablanca, Morocco)

Abstract:

Habermas presented deliberative or socialist theory as a solution to the failings of democracy and as a way to address its inability to reach the masses. Social theory emerged as an alternative to the sterility of the state and the inadequacy of its institutions and political apparatuses, which had become incapable of expressing the needs of society. With Habermas, many political terms were replaced or substituted: society replaced the people, the individual replaced the citizen, and the welfare state replaced the nation-state. Disappointed by these state institutions,

and even by civil society organizations and associations, the company found itself without an explicit representative or clear spokesperson and sincere. Thus, the public sphere remained the last refuge for forming public opinion and making political decisions. We will see, with the contemporary German philosopher and sociologist Jürgen Habermas, how society, within the free public sphere, can construct itself, shape its political existence, and impose its will on the dogmatic and unilateral state in its decisions.

Keywords: Discourse, public sphere, legitimacy, public opinion, deliberative democracy.

مستخلص:

لقد بوتق هابرماس النظرية التداولية أو الاشتراكية بوصفها حلاً لاعوجاج الديمقراطية عن مسارها، وسدًا للثغرات التي تركتها كونها لم تطل الجموع، وجاءت النظرية الاجتماعية بديلاً عن عقم الدولة وحالة القصور التي تشهدها بشتى مؤسساتها وأجهزتها السياسية، فما عادت قادرة على التعبير عن نداء المجتمع، ومع هابرماس سنرى جملةً من المفاهيم السياسية تستبدل وتحل محلها؛ إذ حل المجتمع محل الشعب والفرد محل المواطن والدولة الاجتماعية تقلدت مكانة الدولة الوطنية، فأمام خيبة الآمال التي تركتها تلکم المؤسسات الدولية بل حتى المدنية والهيئات والجمعيات، لم يبق للمجتمع من ينوب عنه ومن يتكلم عنه بلسان صدق مبین؛ فبقي الفضاء العمومي هو الملجأ والملاذ الأخير لبناء الرأي العمومي وصنع القرار السياسي. وسنرى مع الفيلسوف يورجن هابرماس كيف أمكن للمجتمع داخل الفضاء العمومي الحر أن يبني ذاته ويشكل وجوده السياسي ويفرض رأيه على الدولة الدوغمائية والأحادية في قراراتها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الفضاء العمومي، الشرعية، الرأي العمومي، الديمقراطية التداولية.

مقدمة:

لقد راهن هابرماس في نظريته النقدية على المنعطف الألسني فيه ترأس اللغة كل مدار الفكر والواقع معاً، فلا محيد عن النسق اللغوي في النظرية التشاركية، فيطفو الحوار كوسيلة ناجعة لها بإتيقا النقاش الحاد المفتوح والحر والفوق بنوي الذي يتسامى عن كل البنيات⁽¹⁾. وفي ذلك فإن قوة الاتفاق والتراضي الجمعائي تستقي ذاتها من النقاشات التطبيقية القابلة للإنزال على أرضية الواقع، وليس تلك التي لا يمكن أن تكون متعالية (ترانسندنالية)⁽²⁾.

¹ الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، (بيروت: دار الفارابي، ط1، 2012)، ص7.

² علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل: هابرماس أنموذجاً، (بيروت، منشورات الاختلاف، ط1، 2011)، ص365.

وهو في الوقت نفسه يلوح برايته داخل سفينة الفضاء العام بضرورة التنبُّه إلى نقطة جوهرية مضمونها أنه لا يكفي تشكُّل النقاش العموميِّ ما دام لم يتلبس بهالة سياسية تباركُهُ من الجهات السياسية الممثَّلة في أجهزة ومؤسسات الدولة. نقرأ لهابرماس في هذا المظان:

بأن الفضاء العمومي هو مجال لعموم المواطنين لممارسة حقوقهم السياسية.¹

يُعَدُّ التواصل نَدْرَ الشيء ليكون مشتركا ومشاعا بين الجميع والعموم، وتُعَدُّ اللغة أعلى مراتبه وأرقاها بروجاً⁽²⁾. يقول إتين جيلسون: (إن اللغة تعيد إنتاج العالم). وفي هذا تلميح بقوة اللغة ولسحرها ومدى تأثيرها ولقلبها الأوضاع القائمة ولتجديدها للتاريخ نفسه⁽³⁾. فقد كانت منعظفا أخيرا في الفلسفة غيرت معها مركزية الإنسان وانغلاقه على ذاته، فكانت وسيلة للانفتاح على الآخر الذي حنَّطته الحداثة في أسيجة الفردانية والتفوق والانطوائية، وكانت بذلك المنعطف الأساس في النظرية التواصلية⁽⁴⁾.

لعلَّ ما دفع هابرماس، في بوتقة نظريته الاجتماعية، إلى استدعاء الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات والسيميائيات وعلوم اللغة هو تقصُّده تشييد تواصل يتأسس على البيذاتي الذي يقفز عن كل ذات عاكفة على ذاتها لا تتصل بذات غيرها، لأنها تفتقد لجسر تتلاقى فيه عبر آلية الخطاب الذي تَسَيِّدُهُ لغة بسيطة ولكنها دقيقة، بديهية يُبَدَّ أنها عميقة، مباشرة غير أنها برهانية وحجاجية في الآن ذاته.

1. ضرورة التواصل عبر آلية اللغة بين الأفراد:

لا تبوح اللغة عند التفكيكين بكل شيء بل تترك وراءها فراغات ونُقْطاً غير مُكتملة ومسكوتاً عنه لم يتم التصريح به، واللغة التي يَتَحَرَّوْنَها في كتاباتهم أقرب ما تكون إلى لغة شعرية رمزية شديدة التعقيد والإبهام، هذه اللغة هي غير مُجَنَّدَةٍ عند هابرماس لتؤدي دورها التواصلية، لأنه يكتنفها الانغماض واللبس الذي يؤدي إلى الإبهام، ومن ثمة فإنَّ فالتواصل بها يصير عقيماً وغير مرِن، فكيف أتواصل مع شخص لا أعرف ماذا يقول

¹ المرجع نفسه، ص.370.

² يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة: عمر مهيبيل، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2010)، ص 8.

³ إتين جيلسون، اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية للغة، ترجمة: قاسم المقداد، (دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2017)، ص.42.

⁴ Jürgen Habermas, Truth and Justification, Traduction Barbara Fultner, Boston, The Mit Press Massachusetts, 2003.p11.

وماذا يريد أن يقول، ولغته تحتاج إلى شروح وتفسير، ومعلوم أن اللغة غير الواضحة تهاوى عليها معاول التأويل والتحويل والتحوير.

فهابرماس نَحَى بطرحه العملي المتمثل في الانتقال إلى الفعل *on passe à l'action* لأن هدفه من اللغة أن تكون حاملة لرسالة واضحة غير مشفرة يكون فيها الإجماع ويتخللها التوافق والتفاهم على شيء ما نستخدمه لاحقاً بهدف تحقيق أهدافنا المشتركة ولتوسيع مجال حريتنا الذي ضَيَّقَتْهُ الدولة، وتكون مسكناً للوجود بحسب هايدجر نحقق مآربنا وطموحاتنا وتصوراتنا للوجود المشترك الأفضل الذي استعصى على الدولة بجُلِّ مؤسساتها السياسية والبرلمانية وعلى كل أطراف المجتمع المدني من جمعيات وهيئات غير حكومية التي راوغت المجتمع وتركته وحيداً من دون ولي ولا نصير، إن اللغة بالنسبة لهابرماس تكاد تكون متشاكلة مع عصى موسى الذي قال: "وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى"؛ فاللغة لا تكتفي بدورها التواصلية بل تستهدف التواصل السياسي وهذا ما انمازت به لغة هابرماس في نظريته التواصلية التي تمنح الحق للمجتمع بتداول رأيه السياسي بين أفراده دون الاعتماد والاستكانة إلى المنابر السياسية الأخرى المتهاوية والتي لا يُعَوَّلُ عليها⁽¹⁾. لأنه مع هابرماس اللغة لم تعد وسيلة تواصل بسيطة بل أداة للفعل والحركة والتغيير والسياسة والتأثير وتواصل الأفكار وتلاقحها⁽²⁾.

لقد باتت ضرورة الحجاج في اللغة، بهدف طرح القضايا السياسية، تناسب شيئاً فشيئاً لمجتمعنا وباتت ضرورات ما بعد الحداثة تُسَطَّرُ لتأسيسها ولشرعنتها في دخول حياتنا اليومية وفي تأسيس الشرعية السياسية من لدن الجماعة غير السياسية؛ فتطور الظروف وظهور قضايا مستجدة لم تكن لها نشأة في السابق جعل منه ضرورة من غير ضرورة وقوة لتأطير الرأي العام وجمعه على بناء الرأي السياسي لبناء مجتمع سياسي وليس مجتمعاً مسيساً؛ سياسي لأنه اختار الدخول في معترك السياسة وركوب غمارها واختراق دهاليزها وأنفاقها المظلمة وليس مسيساً من طرف الدولة أو من طرف جماعات سياسية فرضت أيديولوجية ما تعمل لصالحها وليس لذلك المجتمع المسيس، والحجاج يفترض قبل كل شيء التحرر من كل الأيديولوجيات المسيطرة والمهيمنة والاعتراف بالرأي المخالف، في ظل هاذين المبدئين يترعرع الحجاج، ينمو ويتطور لتكوين رأي حر نابع من الإرادة الجمعية الصرفة دون وساطة أجهزة وجماعات مهما ادعت الدفاع عن المجتمع⁽³⁾.

¹ خلدون النبواني، التباسات الحداثة لهابرماس في مواجهة دريدا، (بيروت: مؤمنون بلا حدود، ط1، 2022)، ص74.

² Justification, Ibid, p Jürgen Habermas, Truth and

³ ثناء حسين عباس، الحجاج والمجتمع من أجل حوار بناء وخطاب بلا عنف، (عمّان: الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2019)، ص

إن المناقشة عن قضية يستلزم سيرورة يتم فيها حمل يقين من شخص مقتنع به إلى شخص آخر لديه قناعة أخرى ويقين آخر، وفي هذا التشابك بين قناعات الأفراد وهذا التصادم بين اليقينيّات يبقى اليقينيّ المنتصر الذي يملك حجاجاً منطقية واقعية صالحة للاستعمال الواقعي، ودونها فقط مثاليات وطوباويات متهاوية لا محل لها من الواقع المُتَجَرِّ والمَحْسوم والمختوم بعملية الفعل والإنزال على أرضية الواقع المعيش⁽¹⁾.

يتساءل فيليب بريتون: بأن الدولة التي لا تعطي للمجتمع الحق في الكلمة، فهل هي حقا ديمقراطية؟⁽²⁾

هنا يتساءل فيليب بريتون عن الديمقراطية التي لا تتيح مساحة رحبية في الحق في القول والتعبير، هل هي حقا ديمقراطية؟ هذا السؤال الذي يحمل غرابة وتعجبا في ثناياه إنما يرمي إلى تنبيهنا على شيء واحد مفاده أن الديمقراطية انبنت على السماح بالقول وأن هذه هي هويتها الأصلية وصورتها الأولى قبل أن تتشوّه وتخرج عن سياقه. كتب ألان تورين في كتابه "ماهي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية؟": "إذ لا يمكن أن يكون هناك ديمقراطية تمثيلية ما لم تكن القوى المجتمعية الفاعلة قادرة على إعطاء معنى لفعالها بدلا من تلقي هذا المعنى من الأحزاب السياسية"⁽³⁾؛ ذلك أنّ الديمقراطية التشارورية التي تتقصد المجتمع بحسابه عضواً أساس فيها لا تنماز بالفردية لأنها سياق اجتماعي يتغيا في لواعجه مخاطبة الجمهور ومجادلته بأدلة وبراهين وحجج ودفوعات من أجل إثبات الرأي والموقف لغاية مفادها في النهاية إقناع الحشود، وذلك الإقناع لا يكون بالقوة إنما يحرز بالعقل؛ أي ليس بمنطق القوة بل بقوة المنطق والحجة والدليل والدفوع المقدّمة⁽⁴⁾.

إن النظريات التداولية اعتبرت القول فعلا وليس مجرد كلام؛ لأن الكلام، في مجمله، تأثير يمارسه المخاطب على المخاطب. إن سلطة الكلام هي قوة ناعمة لكن أثرها عميق لدرجة شن حروب بكلمة مشحونة ومحشوة بخطاب حماسي، أولم يؤثر الفوهرر (الزعيم الروحي) هتلر بخطاباته المفعمة بالحماسة والعصبية العرقية إلى حمل ثلثة من الشعب الألماني الآري على تبني آرائه والإيمان بها؟ أولم تحمل خطابات الحسن الصباح حامل لواء الباطنية وزعيمها الروحي التي كانت ترى أن للقرآن ظاهر وباطن، ظاهر يفهمه العوام وباطن لا يسبره إلا الراسخون في العلم، أو لم يُضَيَّ معتنقي مذهبه بأرواحهم نصرة للقضية؟ هذا لأن الكلام تأثيره أقوى من حد

¹ المرجع نفسه، ص 8.

² المرجع نفسه، ص 15.

³ ألان تورين، ما هي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية؟، ترجمة: حسن قببسي، (بيروت، دار الساق، ط3، 2016)، ص 77.

⁴ فناء حسين عباس، الحجج والمجتمع من أجل حوار بناء وخطاب بلا عنف، مرجع سابق، ص 20.

السيف وهو بذلك في الطريقة التداولية الهابرماسية لا يعد مجرد كلام بل هو فعل تواصلية *acte communicatif*.

والديمقراطية التداولية لا تكتفي كونها تواصلية مرتبطة باللغة والكلام، إنها تتجاوز ذلك لترتقي إلى مرتبة الخطاب إذ يكون فيها كفسيفساء تضم في رسومها مُتكلما يلقي بخطابه وجمهورا يلقي بسمعه، ومشاركون يلقون بتركيزهم، وفضاء يؤثت لهذا الكلام وموعدا يؤرخ اللحظة الزمنية الناقلة لهذا الخطاب، وحدث وقوعي أدى إلى حدوث، ووقوع هذا الكلام يكون هو موضوع الخطاب وهو الداعي إلى هذا التجمع المنظم⁽¹⁾. والخطاب السياسي داخل الفضاء العمومي الهابرماسي هو عار من كل المذاهب والأيدولوجيات والمعتقدات، فهو كحلبة صراع للحجج لا ينتصر فيها إلا صاحب حجة بليغة ذات لغة قويمة⁽²⁾.

فهو لا يحوي في قوالبه السَّبَّ والقذف وهدر الدم كما في الدين أو التزمت والبداهة كما في قواعد الرياضيات الصحيحة دوما، إنه يرمي إلى تداول الرأي بين الجماعة وقبوله رهين بالإقناع والاقتناع مقترن بقوة الدفع والحجج المدفوعة⁽³⁾. في حوار حر مفتوح للجميع داخل قبة الفضاء العمومي يتخلله حجاج منطقي محايد ينص عليه هابرماس في نظريته السياسية عبر تقفي الحجاج السقراطي الذي يسعى إلى الوقوف على أعتاب الحقيقة عبر أسلوب التوليد *généalogie* وليس الحجاج السفسطائي الذي يعمد حوارات مفخخة هدفها الإيقاع بالمُحَاَجِّج كما لو كان خصما أو عدوا وهو لا يهدف التوصل إلى الحقيقة بقدر ما يتغيا إلى الوقوف على ظلالها، لذا فإن تعليم الحجاج لا يصبو إلى إكساب التلميذ أو الطالب مهارات لغوية بل يتسامى على ذلك هذا الفن إلى تلقينه مهارات نقدية؛ لأن هذه الأخيرة أعمق من الأولى؛ فلئن كانت الأولى سطحية ترى الحقيقة في الجلد *la vérité dans la peau* كما قال جيل دولوز فإنها هي العمق والكُنْهُ وهي ما وراء هذا الجلد *la vérité existe derrière la peau*⁽⁴⁾.

كونه لا يقوم على المناورة والخداع كما يلاحظ في استغلال بعض وسائل التواصل من قبيل: الإشهار واستعمالها للتضليل والتحريف والانزياح عن الحقيقة والترويج لوقائع كاذبة هدفها الربح المادي ولو على حساب الحقيقة ذاتها فيتم الزيغ عن الرشد والحق، والحق كما قال ابن الهيثم مطلوب لذاته أي لا يطلب لغيره

¹ المرجع نفسه، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 15.

³ المرجع نفسه، ص 32.

⁴ المرجع نفسه، ص 34.

فهو مكتف بذاته لذاته⁽¹⁾. كما تستبدّه ديماغوجيات البرمجة الثقافية للشعوب على عقول أفرادها عبر قتل روح النقد فيها ببث مباريات كرة القدم وأخبار النجوم، فتستلب إرادة المجتمع ويصير أداة في يد الدولة تسيطر عليها عبر وسائل الإشهار هاته كي يصبح أداة للاستهلاك بدل النقد والتحليل، فيكتفي بالشرب والطعام كالأنعام، ويسهل على الدولة إخضاع وتقييد مجتمع كهذا غير عقلائي لأنه استهلاكي فقط، لذلك للوقوف ضد هذا الاستلاب يجب توفر إعلام بنّاء ونخبة مثقفة تعبى الفضاء العمومي وتوقظ العموم والعوام من سباتها العميق⁽²⁾.

2. بوادر تكوّن الفضاء العمومي:

أرست النهضة العلمية مضامين نشوء الوعي وسيادة الثقافة بين ظهري مجتمع حدائي، وأدّت هذه التحولات الثقافية إلى تكوين تجمعات في الصالونات والنوادي والمقاهي، تجمعات غير خاضعة للشروط والقواعد، بل تنشأ طواعية، ويكون الرأي فيها من دون قيد أو تقييد⁽³⁾. وأثّر نشوء الدولة الوطنية في القرن التاسع عشر على ظهور الفضاء العمومي، وأدّى إلى بنائها وتكوينها، فالدولة الوطنية هي الراعية لهذا الفضاء السياسي الجديد، الذي سيغيّر قواعد اللعبة السياسية برمتها من خلال تغيير ركح السياسة عبر زحزحته من مركزيته في اتجاه الهامش، أي أنّ السلطة السياسية ستتحول من يد مؤسسات الدولة السياسية لصالح المجتمع الذي يغدو مؤسسة سياسية غير موجّهة من طرف الدولة⁽⁴⁾.

فرض التطور الملحوظ الذي شهدته أوروبا خلال القرن الثامن عشر، وذلك باكتساح العلوم وظهور تقنيات جديدة دشت لبزوغ عصر جديد هو عصر التّفانة الذي أدى إلى تشجيع الجمهور على النقاش العمومي، كما أسهم المناخ السياسي والمتغيرات الظرفية من ظهور مواطن مثقف قادر على النقاش والتحليل والنقد لمجابهة قرارات الدولة وفرض ذاته لإشراكه في اللعبة السياسية إشراكا مباشرا لا مشروطاً ولا مخاتلاً، فأزال شوكة الدولة الأحادية أو ذات البعد الواحد بتعبير هيربرت ماركيز. كل هذه العوامل عجلت بانبثاق وانبعاث عهد

¹ المرجع نفسه، ص، 41.

² أكسل هونيت وآخرون، الفضاء العمومي في المطارحات ما بعد الهابرماسية: قراءات في المفهوم والدلالات والمآلات، ترجمة: كمال بومنيير، (تونس: مؤسسة GLD للنشر والتوزيع، 2022)، ص 200.

³ جيمس جوردان فينليسون، يورغن هابر ماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: أحمد محمد الروبي، (القاهرة: مؤسسة هندواي للنشر، 2015)، ص، 27.

⁴ أكسل هونيت وآخرون، الفضاء العمومي في المطارحات ما بعد الهابرماسية: قراءات في المفهوم والدلالات والمآلات، المرجع نفسه، ص 22.

جديد هو عهد المجتمع السياسي الحرّ وغير المقيّد بقيود الدولة وأصفادها التي تحدُّ بل تقمّع وجوده في الساحات العمومية⁽¹⁾.

ذَكَرَ هابرماس في جرده التاريخيِّ لمراحل تأسيس الفضاء العموميِّ الذي استقطب الأثرياء من الذكور داخل جناحيه في البدء، بعدها قامَ بضمِّ الفئات النسوية، ثمَّ تناقلَ هذا الفضاء ليتسعَ للجميع بما فيهم الطبقات المهمشة والهشة من المجتمع. وهكذا يمكنُ القولُ إنّ الفضاء العموميِّ الذي بدأ بورجوازيًا حينَ كانَ ينتقي بين ظهرائه فئات الطبقات الثرية وذلك كما أطلقَ عليه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو **Pierre Bourdieu** الهابتوس البورجوازي **habitus bourgeois** انتهى بروليتاريا حين وافق على إقحام الفئات القصية من المجتمع من عمالٍ وصناعٍ وحرفيين⁽²⁾. وحاصل القول: لقد أسهم الفضاء العموميُّ منذ الستينات في مواجهة هيمنة الدولة وفي مكافحة الأحزاب السياسية الغاشمة والكالحة، ولعلَّ أبرزها تلك الشيوعية في أوروبا الشرقية التي تمحي الفرد وتُذيبه داخل مِفصَلَة الشيوعية.

لقد أوجدت الرأسمالية فضاءات عمومية لتشكيل الرأي العمومي كدور السينما من خلال طرح فيلم يحمل رسالة أو قضية يتوحد عليها ويجتمع الرأي العام الذي يعكس نظرة المجتمع إلى تلك الرسالة أو القضية وبالتالي يتخذ موقفا منها، حيث تجتمع الآراء في كتلة اجتماعية تشكل قوة ناعمة وضاغطة على قرارات الدولة الأحادية التي تجعل هاته الأخيرة تنثني وتعديل عن تلكم القرارات الغاشمة⁽³⁾.

عرفَ الفضاء العموميُّ إبَّان القرن الثامن عشر تطوراً من خلال رفع القيود على الحرية ولو بشكلٍ نسبيٍّ وكذا توسيع حقل المعرفة من تمكين هذا الفضاء من مُقارعة مخططات الدولة التي تقفز على مشاركة المواطن فيها، ومن الدخول في الشأن السياسي من النافذة عوض الباب الذي يظلُّ موصداً من طرف الدولة الوطنية مخافة زحزحة وارتباك مصالحها، لذلك لاحظَ هابرماس من خلال جرده التاريخيِّ أن الفضاء العموميِّ قامت له القائمة بفعل تدخل الفئات البورجوازية التي كان لها الفضلُ والسبقُ في تأسيس هكذا فضاءٍ حُرِّيَّيٍّ وعقلانيٍّ، تواصلٍ وتداوليٍّ، الذي من خلاله فرضت المجتمعات الليبرالية نفسها على الدولة التي بدأت شيئاً فشيئاً تعترف بوجوده كمكانٍ سياسيٍّ مقدَّسٍ تُقدَّسُ فيه الآراء العقلانية، الحرّة، الراضة لكلِّ تزمّتٍ أو فكرٍ

¹ المرجع نفسه، ص 34.

² المرجع نفسه، ص 49.

³ المرجع نفسه، ص 194.

أحاديّ أو دوغمائي. والدولة ما كان لها أن تعترف به إلا كرهاً وليس رضاً، وهكذا انتقلت عدوى تأسيس الفضاء العمومي البورجوازي إلى الفضاء العمومي العمالي، وفي كلّ منهم خيرٌ، لأنه يقفُ بوسمه قوة مضادة ضدّ كلّ هيمنة غاشمة سواءً من طرف الدولة أو الأحزاب الديكتاتورية⁽¹⁾.

لقد أدرك هابرماس، كما أدركت حنة أرندت، دور الإعلام بكلّ أشكاله المرئية أو السمعية أو المقروءة في تسطيح وتنميط أشكال الحياة، وفي جعل الإنسان ذا بعدٍ استهلاكيّ بدل النقدي لنقدٍ واستدراك هفوات الدولة وتسليطها، وذلك راجع إلى سيطرة الدولة نفسها عليه بسبب بسط يدها ورصد أعينها على كلّ تحركاته بفعل الرقابة الصارمة التي تمارسها على الإعلام كونه يمثل جهازاً إخبارياً حساساً لما يتميز به من سرعة التأثير بفضل تعجّله في نقل الخبر وسرعة الولوج والتسرب إلى بيوت الأفراد دون وعي مسبقٍ منهم. كما أسهم الفن في تشكيل الحس الاجتماعي وتحريك زعانفه للغوص في قضايا المجتمع الشائكة التي تمرّ عليها الدولة مرور الكرام، ومن جملة وسائل الفن التي أثّرت بشكلٍ واضحٍ وملحوظٍ على أقطاب المجتمع هي السينما الواقعية التي برزت بقوة في إيطاليا، فكانت تعبّر عن الواقع كما هو من دون دهانات ولا ترميمات، والشيء نفسه تمّ بواسطة المسرح الوجودي الذي اكتسح أحياء باريس فقال ما لم تستطع الفئات المبحوحة والمخنوقة البوح به والإفصاح عنه مخافةً ورهبةً من عقاب السلطة، ناهيك عن الأعمال الفنية التشكيلية التي تقول ما لم يقدر أحد قوله.

هكذا صاغت هذه الفنون التعبيرية أسلوباً جديداً لهذا الفضاء ليعدّ مكاناً للتعبير والبوح والجرأة على القول وللتفكير الجماعي والمسؤول، فتحول إلى مكان حرّ يُتداول فيه السياسي واليومي، وهو ما لم يفعل في مؤسسات الدولة ولا داخل بناياتها الشاهقة والمزخرفة التي تضع خطوطاً حمراء على كلّ تفكيرٍ حرّ واعٍ، هكذا ما كانت توحى به فسيفساؤها وزخرفتها من هيبةٍ ورهبةٍ⁽²⁾.

لا شك أنّ المجتمع العمومي لا يعني البتّة الدهماء *la populace* بتعبير الفيلسوفة السياسية حنة أرندت، لكون الدهماء تنصاع للمشاعر وتخلو من المنطق والتحليل والرؤية، فالدهماء سيمتها التعجّل واستخدام الأحكام الجاهزة التي لا تخضع لمعايير ومقاييس تحليلية ومنطقية، والدهماء تؤثر فيها روابط القرابة والعرق والعصبية القبلية بحدّ تعبيريّ مُستفتح علم الاجتماع ابن خلدون أو كما يُعبّر عنها في القرآن حمية الجاهلية أي

¹ المرجع نفسه، ص 44.

² المرجع نفسه، ص 43.

يغلبُ عليها طابعُ الحماسةِ على حسابِ العقلِ، ولقد كانت حادثةُ دريفوس Dreyfus دليلاً وعلامةً على هذا الانزياحِ للحماسةِ والعاطفةِ الجياشةِ بدلَ استعمالِ العقلِ⁽¹⁾.

طرح هابرماس مسألةَ المعياريةِ la normativité أو ما المعايير التي تستند إليها القوانين لتكتسب شرعيتها وتصبح سارية المفعول والتطبيق على العموم، والمسألة التي استثارها هابرماس هي في غاية الأهمية والأولوية والتي تتلخص في السؤال الآتي: من يصنع القوانين؟ وما مدى صحتها وصلاحيتها للعموم؟ للأسف ففقهاء القانون هم من يتكلفون بصنع هذه القوانين، وهم بهذا لا يستشيرون العموم، لذلك فإن هابرماس اقترح في مسألة المعايير والصلاحية entre normes et faits أن بوتقة القوانين لا يجب أن تستثني مناقشتها مع كل عينات المجتمع وإلا صارت قوانيناً منقوصة ومبتورة وغاشمة ومستبدة، ومن ثمة تغدو فاقدةً للشرعية، لأجل ذلك أكد هابرماس أنّ الفضاءَ العموميَّ جاء لوقفِ الهيمنةِ والشموليةِ والاستفرادِ بالقولِ واحتكارِ الرأيِ⁽²⁾.

وألحَّ على أن تكونَ السياسةُ تداوليةً تشاركُ فيها الكتلةُ الاجتماعيةِ la masse sociale، وفيها وضمها يتم تحفيز المواطنين الأحرارَ على الانخراطِ في الصيرورةِ السياسيةِ dans le processus politique، وعلى وسائل الإعلام أن تحتوي الآراءَ العمومية وتكونُ هي أيضاً فضاءً عمومياً لنشر هذه الآراءِ⁽³⁾. ينشأ مما سبق إذن أنّ الفضاءَ العمومي يضم بين جنباته خطاباً مشروطاً بعدم الوضوح وعدم الكذب والتحايل، لذلك فالسياسي الذي يستعمل أسلوب الكذب والوعود الزائفة هو سياسي لا يجب أن يكون في مراكز الحكم⁽⁴⁾.

إنه لبلورة النظرية الاجتماعية قد رمى هابرماس بدلوه لينهل من العلوم القانونية ومن التحليل النفسي والعلوم الاجتماعية واللغويات كي تكتمل الصورة ولا يشوبها فراغ أو نقصان⁽⁵⁾. هب أننا ظللنا فقط نعكف على الديمقراطية المنقوصة والمبتورة، في حين أنّ تأويلَ دولةٍ للحقِّ هو لديه تفسيرٌ واحدٌ، لأنه فقط يمرُّ عبرَ

¹ المرجع نفسه، ص24.

² المرجع نفسه، ص134.

³ Jürgen Habermas, **Droit et démocratie entre faits et normes**, traduit par Rainer Rochlitz et Christian Bouchindhomme, Paris, Edition Gallimard, 1997.p406.

⁴ Bjarne Melkevik, **Droit et agir communicationnel : penser avec Habermas**, Paris, Éditions Buenos Books International, 2012.p13.

⁵ علي عبود المحمدوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجاً، مرجع سابق، ص9.

أنفاقٍ ودهاليز النظرية الاجتماعية المبنية على النقاش والحوار، يقول هابرماس بأن تأويل دولة الحق لا يمكن أن يتأسس إلا على نظرية النقاش والحوار⁽¹⁾.

لقد قدّم الفضاء العمومي نفساً ومُتَسَعاً للنقاش وتبادل الآراء، فيكون فيه كلُّ واحدٍ داخله (داخل الفضاء العمومي) خطيباً تارةً، وتارةً مُقَدِّماً للحجج ومدافعاً عنها ببراهين وأدلةٍ دامغةٍ، وحينه أخرى مُسْتَمِعاً إلى الآخر الذي يلعب أيضاً دورَ الخطيب، فيصبحُ هو مُمَجِّساً لتلك الحجج ومتبصراً فيها، كلُّ هذا عزَّزَ من منطقي الاعتراف المتبادل ونَبَذَ كلَّ أشكالِ التعصبِ والدوغما الغاشمة، وطرَدَ أشباحَ الاستثناء والاستفراء بالرأي واحتكار الزعامة، ففي الفضاء العمومي لا يوجد زعيمٌ ولا مریدٌ، لا تابعٌ ولا متبوعٌ، الكلُّ سواسيةً فيه كأسنان المُشْطِ⁽²⁾.

يتميز المجتمع عن الدولة لأنها متعاليةٌ على الجميع، ومن ثمةً فإنها لا تُترجم إرادته بشكل حقيقي، فهو الأحق بالتعبير عن ذاته، عن همومه وعن قضايها، عن شؤونه وعن آماله وطموحه، ولأنه لا الدولة ولا المؤسسات الاقتصادية تُعبِّرُ عنه بشكلٍ جليٍّ، وإن حدث وأن فعلت لا تُعبِّرُ إلا في إطار مصلحتها هي؛ فتعبيرها غير صادق ويُضمر النوايا غير الحسنة⁽³⁾.

إن الدولة التي تدعي أنها دولة الحق والقانون عليها أن تكون مُتَكَيِّفَةً مع كل عدم رضوخ اجتماعي، فهذا وحده السبيل الذي ينزِعُ عنها سمةَ التسلط والاستحواذ على القرار الأحادي⁽⁴⁾. باتَ الهدفُ من وجودِ الفضاء العمومي هو تكوينُ الإرادةِ العامّةِ والتعبيرُ بمصداقيةٍ لا تشوبها المراءغات ولا تختفي وراءها المصالحُ الخفية، فظهرت في بريطانيا، كما في فرنسا، حركاتٌ اجتماعيةٌ تحريريةٌ تُنادي برفع الهيمنة والشمولية التي تُمارسُ الدولُ التي تدعي نهجَ الديمقراطية على الأفراد كأنهم ليسوا جزءاً من كيانها، لكن مع ظهور هذه الحركات الاجتماعية في الدول المتقدمة التي تنتفضُ ضدَّ تعسُّفِ الدولةِ وضد قمعها وهيمنتها لاحظ هابرماس مع حنة أرندت أن الفضاء

¹ المرجع نفسه، ص 366.

² المرجع نفسه، ص 18.

³ Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, traduit par Rainer Rochlitz et Christian Bouchindhomme, Paris, Edition Gallimard, 1997, p395.

⁴ Ibid, P. 411.

العموميّ السياسيّ قد تتخلّله بعضُ المراءوغاتِ والحيلّ التي تُفرغهُ من حمولته وتعيدُ أفرادَهُ إلى الفضاءِ الخاصِّ بدلَ الفضاءِ العامِّ الذي يشكّلُ كتلةً تُشكّلُ هي الأخرى قوةً بدورها فتكونُ خطراً داهماً على هيمنةِ الدولة⁽¹⁾.

حتى في منتصفِ القرنِ التاسعِ عشرِ كان من المتعذّرِ والمتعسّرِ تحقيقُ تواصلٍ شموليّ يستقطبُ كلّ الفئاتِ وذلك راجعٌ لعدةِ عواملٍ، ولعلَّ أبرزها أنّ فكرةَ المساواةِ كانت تُعتَبَرُ كرهاناتٍ دخيلةٍ لم يألِفِ المجتمعُ حدوثها، كما أن الأمرَ كان راجعٌ بشدةِ إلى عدمِ تقاربِ مستوى الذهنياتِ والعقليّاتِ⁽²⁾. والسؤالُ الحادّ والجادّ مع هابرماس، متى سيظهر ذلك المجتمع السياسي وليس المسيس، ووفق أية شروط سيتشكل كقوةٍ سياسيةٍ غالبيةٍ لا مغلوبيةٍ، فاعلةٌ لا مفتعلٌ بها، ويكُونُ مؤسّسةً سياسيةً قائمةً بذاتها، تتخذ القرار بشكل مباشر دون وسائطِ مؤسساتٍ أخرى تُضللها وتتلاعب بشأنها وتدّعي النيابة عنه.

إن ما تقدم هنا هي علائم وشروط لقيام دولة الديمقراطية التداولية *démocratie délibérative* وليس دولة الديمقراطية الغاشمة التي تدعي حكم الشعب نفسه بنفسه لكنها في الحقيقة هي حكم الأقلية الظاهرة والقاهرة للغالبية. فإذا كان الكوجيطو الديكارتّي في تعبيره القاعدي أنا أفكر إذن أنا موجود، فيجب أن نضيف كلمة لها هي التي عدّل بها هابرماس هذه المقولة *catégorie* فتصبح بعد التعديل الهابرماسي، أنا أفكر داخل الفضاء العمومي إذن أنا موجود.

إن هابرماس في فتحه الجديد يلعب دوراً في مُضَلِّعِ خماسي الأضلاع، تحقُّفه الاجتماعية، الإجرائية، البيداتية، التداولية، والعقلانية، وهي كلها محركات لا مندوحة عنها لِصَوْغِ نظريته الجديدة⁽³⁾. لقد أتى هابرماس بما أتى ليغيّر الفكرة برمّتها، فكانت فكرة الفضاء العمومي نبراساً سحرانياً مسعاه كان دوماً مناهضة آليات السيطرة، والوقوف ضدها بل التحرر والخلّاص والفكّك منها⁽⁴⁾. يقول هيجل في "فلسفة التاريخ": «إن حالة الطبيعة يغلب عليها الظلم وتسودها الدوافع الطبيعية التي لم تُروّض، فالدولة والمجتمع يمارسان نوعاً من الحدِّ⁽⁵⁾.

¹ الفضاء العمومي في المطارحات ما بعد الهابرماسية، قراءات في المفهوم والدلالات والمآلات، نفسه، ص 40.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ خلدون النبواني، التباسات الحدّثة هابرماس في مواجهة دريدا، مرجع سابق، ص 143.

⁴ نور الدين أفاية، الحدّثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط 2، 1998)، ص 103.

⁵ محمد بهاوي، الدولة والمجتمع، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط 1، 2013)، ص 104.

لكنه يعود ليقول إنَّ الدائرة العمومية بالتوصيف الهيجلي لمي مَرْتَعُ الأهواء والانفعالات والآراء الخاصّة وموطنُ الشخصية⁽¹⁾. في تقدير هيجل ما الداعي إلى الدائرة العمومية وما الجدوى من حوار اجتماعي سَمْتُهُ الفسوقُ والمروقُ عن الدولة؟ وما الحاجة إلى مداولاتٍ تتخللها الآراء السطحية والمتضاربة المتصارعة فيما بينهما؟ إن هيجل يعطي الأسبقية للدولة على المجتمع المدني اعتباراً لدورها التلفيقوي بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، وحفاظها على حرية الفرد التي لا تتجاوز سقفها.

لكن هابرماس رأى محدودية الدولة في رعاية مواطنيها لذا اقترح الفضاء العمومي الذي هو بمثابة ساحة للتنفيس عن يأس المجتمع من سياسيات الدولة التي تستفرد بالقرارات الأحادية ونفوره من السلطة والقمع الممارسين عليه وبحثه عن بدائل أخرى لهذه السلطة عبر امتطائه لصهوة هذا الفضاء ك مجال للخلاص من كل تهمكهم وتحكم وتسلط وتضييق للحرية⁽²⁾.

نقرأ في هذا المضممار لـ ألان تورين: "وأردنا دفع المجتمع إلى الأمام (...) وتحريره من المُطْلَقَتِ وإيديولوجيات الدولة بحيث لا يعود خاضعاً إلا لسلطان الحقيقة ومقتضيات المعرفة"⁽³⁾.

لقد تبدّلت المفاهيم السياسية في القرن التاسع عشر، ومع تبدّلها تبدّلت أيضاً العقلية فحلّت الإرادة الجماعية محلّ الإرادة الفردية، وحلّت الهوية الوطنية للشعب محلّ الهوية الذاتية للفرد، وذلك ناتج عن وعي المواطنين بكونهم أعضاء ينتمون للدولة الوطنية وليس رعايا لها⁽⁴⁾.

فالفرد الذي لا يعيش حياة كريمة، ولا يتمتع بحقوقه التي يراها منقوصة أو ليست بالتساوي كالذي عند غيره، يحس بالإقصاء والتهميش، وعندما يطرح حقه ويطالبه بمفرده لا يكون بتلك القوة والتأثير كالتالي يكون فيها مع غيره داخل جماعة، فيتناقشون أمرهم بينهم في رقعة ذلك الفضاء الذي يقوي أو اصرهم ويعزز قوتهم ويوحد لغتهم التي تعكس مطالبهم كأناس واعيين، عقلانيين، متساوين، يتداولون قضاياهم، ويناقشون نقائص الدولة وهفوات كل مؤسساتها التمثيلية والحكومية وغير الحكومية⁽⁵⁾.

¹ عبد السلام الحيدوري، هابرماس وتشريح الفضاء العمومي الليبرالي، (تونس: الدار التونسية للكتاب، ط1، 2021)، ص153.

² أكسل هونيث وآخرون، المرجع نفسه، ص195.

³ ألان تورين، ما هي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، مرجع سابق، ص5.

⁴ أكسل هونيث، المرجع نفسه، ص22.

⁵ Jürgen Habermas, De l'éthique de la discussion, Traduit par Mark Hunaydi, Paris Edition Champs, 2023, P21.

إن الفضاء العمومي هو أسمى تعبير عن الحرية ولهو الحدود القصوى لما يمكن أن تصل إليه الحرية درجة اليقين أنه لا تقدم ولا رقي بشري من دون حرية، وكلما ضاق مجال الحرية ضاق مجال الديمقراطية وكلما اتسع اتسعت، إنها سائل شفاف هلامي يأخذ شكل ولون الذي فيه؛ فبات الفضاء العمومي هو مجال الفكر الحرّ لما هو بحر عميق عريض لا تحدّه حواف ولا تحبسه سواحل littorales، لذلك فهو خارج المؤسسات الدولية التي تفرض أسيجة من المنع والكبت بادعائها بكل مكر ودهاء الحفاظ على هيبة الدولة لكنها في الحقيقة هي تخفي مصالح مبطنة لجهات القرار المستفيدة من إفرازها أحكاما ضد المجتمع، لأنها ببساطة هي تحد وتثبط كل فكري ثوري تحرري يثور على القوالب والنماذج ولا يخضع للإطارات والأيدولوجيات الغاشمة⁽¹⁾.

يقول ألان تورين: "إن سلطة الشعب لا تعني بالنسبة للديمقراطيين أن يعتلي الشعب عرش الأمير، بل تعني كما قال كلود لوفور أنه لم يعد ثمة عرش، السلطة الشعبية تعني أن يكون بوسع العدد الأكبر من المواطنين أن يعيشوا بحرية، أي أن يبنوا حياتهم الفردية بأن يجمعوا بين ما هم عليه وما هم ساعون إلى تحقيقه، بأن يقاوموا السلطة باسم الحرية⁽²⁾".

إن مُعضلة الفضاء العمومي هي في كونه قد يكون في موقع قد تتحكم فيه العرقية فتنبري أصوات الأعضاء فيه تنادي بنشر العداوة للأجانب وقطع كل تواصل معهم⁽³⁾.

إن الفضاء العمومي السياسي هو نتيجة أردفت انتكاسة الحداثة وفشلها في إشاعة الديمقراطية لصالح الكل العموم بدل البعض والخصوص. لقد جاء كردّة فعل على القصور الذي طال أحلام اليقظة للحداثة، ولعلّ مُدناً أوروبية متقدمة سياسياً واقتصادياً في غضون القرن التاسع عشر كالتقدم الذي شهدته باريس ولندن، جعل مناقشة القضايا الوطنية والسياسية مُباحاً أمام الجمهور⁽⁴⁾؛ لذلك يحدد هابرماس الحداثة بوسمها مشروعاً لم يكتمل مادامت حملت نقائص مطوية في مجلداتها⁽⁵⁾.

¹ حامد عبد الصمد، سقوط العالم الإسلامي نظرة في مستقبل أمة تحتضر، (القاهرة: سطور للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص67.

² ألان تورين، ما هي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، نفسه، ص21.

³ أكسل هونيت وآخرون، المرجع نفسه، ص25.

⁴ المرجع نفسه، ص21.

⁵ Craig Brown, Habermas and Giddens on praxis and modernity, London, Anthem Press, 2017, p3.

3. نقد الفضاء العمومي:

أعلن ماركس عن موقفه المعادي للرأي العمومي بصفته ما هو إلا تجسيد لوعي زائفٍ مَرَّرَتْهُ الطبقةُ المالكة لوسائل الإنتاج في صورةٍ خفيةٍ لكي يتماشى مع مصالحها الموغلة في احتكار السوق، ففي النهاية هذا الرأي العمومي ما هو إلا صنعةُ الرأسمالية وإنتاجها الذي يدعي تحرير الأفراد لكنه في الحقيقة يسلبُ إرادتهم⁽¹⁾. لكن هابرماس على العكس تماما فهو مدرك لقوة هذا المدّ الجغرافي الذي يحفّ بين حدوده أفرادا عقلايين، لغاية ذلك فهو يدعو لتأسيس هذا الفضاء العام ليكون متنصلاً من الفكر الأحادي والشمولي وخال من كل أشكال السيطرة والاحتكار للسلطة⁽²⁾.

وبالإضافة إلى ماركس هناك هيجل الذي بدوره يتخلى عن الدائرة العمومية بحكم أنها تفتقد لكل تعقل في الرأي والرصانة، وراهن على الدولة كأم حكيمة فبالنسبة له هي من لها الحق في الشرعية والمشروعية ولا أحد ينوب عنها ويتخذ القرارات بدلا عنها. إن مبرر موقف هيجل للوقوف مع الدولة ظالمةً أو مظلومةً، ربّما بسبب التمزقات التي شهدتها ألمانيا البافارية إبانَ الحربين، فبقي ذلك هاجسا قابعا في لا شعوره ليظلّ مناضلا و متمسكا بهذا الجهاز المعنوي؛ فالدولة في الحُسابِ الهيجلي إذا ما تركتُ البساطَ لسطوة المجتمع سيُسدُّ العنفُ وتطغى الفوضى، والعنفُ لا يكونُ مرخصاً به إلا للدولة وليس للمجتمع، وهو ما أطلقت عليه حنة أرندت العنف المشروع، فيمكنُ أن نُسقطَ التقسيم الفرويدي على نظرية هيجل في الدولة، إذ تغدو هي العقل والمجتمع يغدو هو الجسد، والجسد معروف بالرغبات والشهوات والعنف والعنفوان والتهور، فيدعو هيجل إلى خضوع الأفراد للإرادة الموضوعية التي تُجسِّدُها الدولة وعدم الانقياد للإرادة الفردية.

كما أن رؤية هيجل في الدولة تجد صداها ومُبتغاها في كونها فوق التعاقد والإجماع وهذا ما يضمن استمرارها، لكن إجماع المجتمع ناتجٌ عن حاجات الأفراد، وما ينتج عن الحاجة هو بالطبيعة ينتهي ويضيع بانتهاء الحاجة، لذلك فدولة المجتمع تنتهي من لحظة انتهاء الحاجات، فَيَنْقَرِمُ العِقْدُ مع انتهاء مدة الصلاحية، وإذا كانت الدولة ترتبُها إلى تعاقد المجتمع، فإن هذا الرهان زائلاً بزوال التعاقد أما مجتمع الدولة فهو باقٍ ما دام فوق كل تعاقد وإجماع. لكن إذا كانت الحرية في المنظور الهيجلي لا تتحقق إلا داخل أسيجة الدولة وإطاراتها، أفلا يمكننا أن نسأل الحرية نفسها؟ سيما إذا كانت محكومةً بالدولة، مرسومةً بحدودها، ترسُمها

¹ عبد السلام الحيدوري، هابرماس وتشريح الفضاء العمومي الليبرالي، مرجع سابق، ص156.

² علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، مرجع سابق، ص24.

لرعاياها، وليس لمواطنيها، والفرق كبير وشاسع بين اللفظتين السياسييتين، فتصير الحرية مشبوكةً بأحزمة وأربطة أوجدتها الدولة الدركية⁽¹⁾.

4. انبثاق الدولة الاجتماعية من الرأي العمومي:

إن هابرماس راهن على الدائرة العمومية لما لها من قوة على التأثير وعلى تعبئة الرأي الجماعي واتخاذ القرار العمومي المتمخض من روح المجتمع وليس من روح الدولة الغاشمة، ومَرَدُّ ذلك هو ما حدث من انتكاسة في الحقوق الفردية في ظل الحداثة ومن هضم للمصلحة العامة. فكانت هذه الساحة هي منبع لبث وإشاعة التوعية المجتمعية وصناعة الرأي العمومي، وصَهَر كل الآراء المختلفة والمتشابهة في رأي واحدٍ عموميٍّ موحدٍ يشمل كل الاختلافات والتضادِّ في سبيل رأيٍ عامٍ كونه هو وحدة القمين والقادر على إحداث التغيير وعلى قيام الرجة السياسية⁽²⁾.

فهابرماس رأى أن عيب الحداثة يسكن في المفاهيم الفضفاضة التي صنعتها ونَحَتَتْها، لكنها بقيت كتمثالٍ للمشاهدة فقط، وأن تلك الشعارات التي نادى بها لا تمس الواقع ولا المجتمع، اللهم إن مسَّت فقط الطبقات السياسية بأن واكبت ولاءت مصالحتهم الخاصة على حساب العامة⁽³⁾. رغم أن الحداثة لها ما لها من مثالب وعيوب إلا أنها تبقى الضفة الوحيدة التي يُصنع فيها الوعي والتداوت فلا خارج عنها، إذ ينبغي إحكام مشابكها بِرَاغِي جديدة وطلاءها بأصبغة فاقع لونها، فهي الصراط الذي يمر منه المؤمنون بالديمقراطية الشمولية نحو إرساء سفن السيادة الشعبية؛ فهابرماس لم يعلن القطيعة مع الحداثة بخلاف أساتذته وزملائه في مدرسة فرانكفورت النقدية⁽⁴⁾، لكنه لاحظ أهم عيوبها التي يطمسها الساسة أمام أعيننا كالسحرة الذين يتقنون فن الخداع البصري، وذلك في فصل الديمقراطية الذي هو أهم فصل من فصولها الأربعة ولعله فصل الخريف الذي يُذهب الأوراق والشجر والحجر، حيث الديمقراطية ما هي إلا وسيلة صنعها السياسيون لإحكام قبضتهم

¹ عبد السلام الحيدوري، هابرماس وتشريح القضاء العمومي الليبرالي، نفسه، ص154.

² Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, traduit par Rainer Rochlitz et Christian Bouchindhomme, Paris, Edition Gallimard, 1997.P387.

³ هابرماس وتشريح القضاء العمومي الليبرالي، نفسه، ص153.

⁴ الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، مرجع سابق، ص60.

على العامة والغوغاء؛ لأنها ديمقراطية النخبة تنحت مفاهيمها الخاصة لتلجيم العقول وتكليم الأفواه، إنها ديكتاتورية الأقلية المتخفية وراء ذرائع البرلمانات⁽¹⁾.

ذكرنا أنفاً، أنه لتفعيل حركة التواصل التي تنقل الفهم الجمعاني، يجب استعمال لغة مفهومة واضحة⁽²⁾. لماذا التواصل أهم كلمة مفتاح لنظرية هابرماس السياسية الجديدة لما بعد الحداثة فتؤثّل الكلمة إلى ذاتها، فتركيز هابرماس على التواصل كان بسبب غياب التواصل نفسه، غياب التواصل بين الدولة ورعاياها وغيابه بين المجتمع وأفراده.

وفي اتجاه معارض للطرح الهيولي الذي يساير مع الدولة لاحظ دوركايم أن الدولة بما هي جهازاً للفكر الاجتماعي حسب توصيفه، فلا بد أن تنزل من عليها ومن أبراجها لتحدث التماس والتلاصق مع عموم المجتمع، فهي إن بقيت في المركز لا تدري ما يجري في الهامش وإن قبعت في القلعة لا تعرف ما يحدث في القاع، ولئن ظلت متربعة على رأس الهرم فهي لا تدرك ما يطبخ في القاعدة، ومعلوم أن القاعدة هي أساس الهرم، ولولا القاعدة لما كان رأس الهرم من الأساس.

ورأى للخروج من هذا النفق المكفهر أن تبني الدولة حبالاً متينة للتواصل مع المجتمع للانفتاح على همومه وطموحه، وبهذا حلّ تقوم تداولات تشاركية لصناعة القرار بين الدولة والمجتمع تندثر معها الهيمنة والاحتكار السياسي للدولة على حساب المجتمع، وبهذا سيغير الشأن العمومي مساره من المركز في اتجاه الهامش فتساوى الكتلة بين المركز والهامش، ولا تبقى الكتلة ثقيلة في كفة المركز وخفيفة في الهامش، ومعلوم أن من قلّ وزنه قلّ شأنه.

من هنا نجد إيميل دوركايم يدعو الدولة إلى مشاركة المجتمع في سياساتها وقراراتها لفك العزلة ودرء الإقصاء عنه وعدم اعتباره كأصم في حفلٍ صاحب لا هو ينسجم مع إيقاع الموسيقى ولا يسمع الأصوات التي تدور حوله. ففي دائرة الفضاء العمومي وعبر آليتي الحوار والنقاش الحرّ والمفتوح في وجه الكلّ والمتقبل لكل فكر، بهذا سيتوصل الشعب إلى اتفاق فيما بين مكوناته، فيمكن معه رصد قرارات الدولة وتعديلها بل محوها وإقامتها أخرى من طرفه هو (تعود على الشعب) إذا اقتضى الأمر ذلك.

¹ المرجع نفسه، ص 97.

² Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, Ibid, P 400.

ففي نظر دوركايم إن التفكير الجماعي لن يتأتى بدون وساطة الصحافة اليومية والدورية التي تقوم بدور الوسيط بين المجتمع لإثارة وتجميع الرأي العام، هذا إضافة إلى ظهور الراديو الذي أصبح وسيلة نقل سريعة للمعلومات⁽¹⁾. لكن رغم ما تلعبه الصحافة والراديو من دور بالغ الهامة في صناعة الرأي العام في نظر دوركايم كوسيط لترميم جسور وقناطر التواصل، فهي لا تخلو من رقابة الدولة وسيطرتها على هذه الوسائل الأدائية والتواصلية لإدراكها بخطورتها في تجييش الجموع الغفيرة ولقدرتها على إثارة الرأي العام بسرعة الضوء⁽²⁾.

لقد ذهب بنا هابرماس بعيدا حيث السياسة معه ما عادت مقتصرة على النخبة والفئة الغالبة بل متاحة للجميع؛ الكل له الحق في إدلاء دلوه في بئرها. لقد أدرك هابرماس أن السياسة ما كانت قبلا تشمل الصالح العام ولا تعبر عن همومه وتكرس دورها لطموحه وتوفي بعهدا لأماله فكثيرا ما خيبت السياسة رجاء مواطنيها، لأنها لم تكن تنبثق عن كل فئات المجتمع، وكيف لها أن تمثل طموحات وإرادات هذه الفئات كلها إن لم تكن مستمدة من كل أصواتهم كلهم.

إن الديمقراطية الحققة ليست شعارات طنانة وأحكاما مناقضة للواقع المعيش ولا بكثرة الأحزاب والمؤسسات السياسية، إنما الديمقراطية الفعلية هي إنزال المخططات على أرض الواقع، وترك هامش الحرية يتسع إلى مدى يشعر فيه الفرد حقا أنه غير مغموع في بلده، وإخراجه من قوقعة العزلة السياسية التي تفرضها عليه الدول التي تدعي الديمقراطية بينما هي لا تشرك كل المواطنين في الشأن المحلي والاجتماعي وتتخذ قرارات أحادية غاشمة تراعي مصالح السياسيين على حساب المواطنين.

نستدعي هنا قول حامد عبد الصمد: "كلهم يعتقدون أن الديمقراطية مجرد صناديق اقتراع ونظام يُفرض من أعلى وحاكم صالح يحل جميع المشكلات بعصاه السحرية. لم يدرك هؤلاء أن الديمقراطية تجربة تبدأ في المنزل حين يتفاهم الأب مع أبنائه والجار مع جيرانه عن طريق التفاوض لا عن طريق الصراخ وفرض وجهات النظر"⁽³⁾. إن مفهوم الحرية مع نظرية هابرماس سوف يتبدل ويتوسّع، فبعدها كانت الدولة ككيان استراتيجي وكذات تجعل من مواقفها تجاه القضايا إكراهات والتزامات على الشعب المكلم والمغلوب على أمره والجاهل بأمور السياسة، ستغدو الحرية شاملة عائمة من حق كل أحد التمتع بها ولم تعد ميزة

¹ أكسل هونيت وآخرون، المرجع نفسه، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 33.

³ حامد عبد الصمد، سقوط العالم الإسلامي نظرة في مستقبل أمة تحتضر، مرجع سابق، ص 132.

وخاصية من خصائص الفئات البورجوازية والنخبة بل ستعم كل الفئات المهمشة والأقليات غير المعترف بها، فتمسي شمولية في جوهرها عريضة في شكلها تضمّ وتعمّ كل مكون من مكونات المجتمع، فتصير أكثر شمولية وأكثر استيعاباً لكل الأفراد مهما كانت أعرافهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم وأيديولوجياتهم، جاء هابرماس بمفهوم الفضاء العام كحل بديل لكل مؤسسات المجتمع المدني التي تؤول في النهاية معبرة عن تسلط الدولة أو عن سطوة الاقتصاد الرأسمالي، وذلك بغاية عدم الانجراف في تياراتهما وقول كلمة لا أمام مخططاتهما التي تنتهك حرية الأفراد وبالتالي تقزم من وجودهم وتعاملهم كرعايا أو عبيد بالنسبة إلى لدولة وكسلعة بالنسبة للرأسمالية⁽¹⁾.

يُفترضُ لبناء المشروع المجتمعي مشاركة الكل، والقفز على تضارب الأناث وتجاوز الصراع بينها، ولملمة الشروخ بين تضادّ قطبيها لتوحيد الآراء وصره الانشقاقات التي أفرزتها الحداثة عبر ترسيخها لمفاهيم الفردانية والأناثية والانطواء على الذات⁽²⁾. وإزالة الهيمنة من يد الدولة المُحتكرة لكل قرار، وفي ذلك يرى هابرماس أن اجتماع السُلطِ سواءً في يد الحاكم أو الدولة سيؤدي حتماً إلى ضياع الحرية واندثارها، وسيعزز من القمع والكبت الجمعاني الذي يؤدي بدوره إلى الانفجار⁽³⁾.

وستتحول الدولة من جهازٍ قمعيٍّ أمرٍ يُصدرُ قراراتٍ ويُلزم تطبيقها إلى جهازٍ يحمي الحريات ويصون حقوق الأقليات ويضمّمها، هذا يعني أن الإنسان بطبعه لا يسعى إلى الحرية التي هي مفتاح وجوده أو بمعنى هايدجر للانفتاح على الكينونة فتتجلى كينونة الإنسان⁽⁴⁾. إن تبديل المواقع يؤثر على الواقع، مثل حركة التّرد في لعبة الشطرنج التي تُغيّر مجرى اللعبة ككلّ، وهنا تتحوّل السلطة من يد الدولة إلى يد المجتمع، يصير المجتمع هو الدولة، والدولة فقط تكون راعيةً له، حاميةً له، وليس أمره له ولا صاحبة القرار؛ لأن مفهوم الدولة مفهوم فضفاضٌ قد يختزل حاكمية الأقلية على الغالبية، والغالبية هي المجتمع، هنا ستقلب كل مفاهيم الديمقراطية التي كانت تتأسس على حكم الشعب نفسه بنفسه إلى فكرة أوسع وهي حكم المجتمع نفسه بنفسه، هو الذي يضع تصوراً له يصنع قراراته بكل أجزائه وجزيئاته وبكل أطرافه ومكوناته المختلفة: عرقياً، مذهبياً،

¹ جيمس جوردان فينليسون، يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جداً، مرجع سابق، ص.27.

² Koula Mellos et Patrick Savidan, Pluralisme et Délibération, Enjeux en philosophie politique contemporaine, les presses d'Ottawa, Ottawa 1999.P4.

³ عبد العزيز ربح، ما بعد الدولة - الأمة عند يورغن هابرماس، (الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1، 2013)، ص.43.

⁴ جيمس جوردان فينليسون، يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جداً، المرجع نفسه، ص.34.

وأيديولوجيًا، لأجل ذلك جاءت النظرية النقدية ضد الهيمنة⁽¹⁾ أما مصطلح الشعب فهو حمّالٌ لتأويلاتٍ سياسيةٍ قد تجعله مرهونٌ ورهينٌ بالدولة، وخلفَ الدولة توجدُ نخبةٌ تحكّمُ باسمها وتتحكّمُ فيها وتحصرُ على مصالحها وتضرب كل من نافها ووقف ضدها، لذلك فالحاجة إلى دولة المجتمع لا إلى دولة النخبة السياسية التي في النهاية لن تمثّل إلى طاقمها ومهما ادعت العكس وتستّرت خلف أقنعة المؤسسات الدولية.

إن الحرية السياسية لا تعني فقط المشاركة الجزئية للشعب في قرارات الدولة بل هي أعمق من ذلك بكثير، لأنها ترمي إلى فرض رقابة شعبية ومجتمعية على الحاكم وعلى كل أجهزة القرار الدولية، فهي هو المنظر السياسي بنيامين كونستان Benjamin Constant يرى ضرورة توفر ضمانات للأفراد تستطيع من خلالها التصدي لكل أشكال السلطة⁽²⁾.

دعا جون ديوي إلى الديمقراطية بما هي طريقةٌ سياسيةٌ وبما هي آخرُ إنتاجاتِ الحداثة إلى التحرُّر من منطقِ قوانينِ الأشياءِ التي تمارسُ التشكّلَ داخلَ خطوطٍ وقوالبٍ معينةٍ من شأنها أن تحدّ من مشاركة الجميع في شؤون السياسة، وذلك بغية الدفع بالمجتمع نحو التمثيل بالفعل العقلانيّ، فهو القميين بتغيير مراكز الحكم السياسي وتداولها من أيدي الدولة إلى أيدي المجتمع⁽³⁾.

إن السياسة تكاد تكون خاصة بالسياسيين فيقولون إنهم ملكنا ولا أحد غيرنا من له الحق في الحوم حول جماها، إن هذا المنعرج سيطرح إشكالية احتكار السياسة وعدم خروجها عن إطار النخبة السياسية، فلا يستطيع المواطن الذي لا يمتن السياسة تطويعها وترويضها وفق شروطه فأكواد شفراتها متاحة فقط للسياسي، وسيبادرنا سؤال ههنا وتاريخ الفلسفة هو تاريخ الأسئلة بامتياز، والسؤال هو كيف يمكن للمواطن المشاركة في بناء الرأي السياسي؟ وهل يمكن أن تكون السياسة متاحة للجميع وفي ملك العموم؟

وهل ينبغي معها أن يكون كل مواطن سياسي أم أن تستشرط فيه الشرط السياسي. الجواب هو أن المجال العمومي يفترض محاورين ملمين بالسياسة، فحتمية الدخول في معترك السياسة ضرورة أنية ومستعجلة لاقتحام قلعتها المنيعه وأبراجها العالية فتصبح في متناول الجميع والعموم. لقد عرّف جون ديوي الفضاء

¹ Koula Mellos et Patrick Savidan, *Pluralisme et Délibération, Enjeux en philosophie politique contemporaine*, Ibid, P, 16.

² ما بعد الدولة - الأمة، المرجع نفسه، ص 44.

³ أكسل هونيت وآخرون، نفسه، ص 35.

العموميّ بقوله إنه: "الفضاء للتعايش السلمي، حيث تُبلور رؤية مشتركة لما يستطيع تحقيقه على المستوى السياسي"⁽¹⁾.

إن هذه القولة في تعريف الفضاء العمومي هي جامعة مانعة، ساطعة لامعة، حيث الفضاء العمومي هو فقط ما يتحصى الأمبيريقى empirique أو التجريبي، أي يعاين الواقع الملموس والمعيش، فهو ينزل إلى الشارع عكس السياسة التي تظل بعيدة عنها بمؤسساتها العليا التي لا ترضى بالنزول من مكانتها مخافة فقد الهيبته والبريستيج السياسي le prestige politique؛ فالمجتمع هو من يكتوي بنيران الظلم والفاقة والتمهيش والتنكيل والإقصاء، وهو من يحس بذلك التمييز الغاشم في الحقوق لذلك هو من يستطيع التعبير عن معاناته وعن تهميشه.

إن نظرية هابرماس ستغير مسار ومجرى المشهد السياسي برمته وستحدث انقلابا ومنعظفا جديدا في السياسة، فما باتت المؤسسات السياسية قادرة على احتواء واستيعاب تغير المجتمع وصيرورته المترقنة في حركيته المتسارعة، متحكمة في تشكل طفراته، وما عاد الشأن السياسي مستغرقا في كل هموم وتطلعات كل جزئيات هذا المجتمع، فما استطاعت كل أركان الدولة احتواء هذا التغير وهذه الطفرات التي تحمل مطالب الإقرار بحقوق جديدة كما الاعتراف بأقليات مستنبتة في ظل تقلبات العولمة، فأسمى على المؤسسات السياسية والدستورية أن تقف جنبا لجنب وتتماهى مع متغيرات السيرة والصيرورة الاجتماعية والفكر العمومي الذي يتمخض من رحم الفضاء العمومي⁽²⁾.

وبفضل تذويب الحدود الجغرافية وتطور الاقتصاد الذي فرض منطقتة التداولي تذويب الحواجز الجمركية، وكذا تضارب المصالح وبزوغ أخرى، وظهور حلفاء جدد، واختفاء أصدقاء قدامى، هذا النهج الذي رسخته حساسية العلاقات الدولية التي تبني منطقتها من المصلحة كشرط أساسي كان ولا زال هو الضامن الوحيد لاستمرار هذه التشكلات أو اضمحلالها، فتشكلت اتحادات وتلاشت أخرى كما الشأن للاتحاد الأوروبي، وخرجت دول منها ما ظن أكبر السياسيين على انسحابها سيما كانت هي دول تُشكل الحجر الأساس في هذا الاتحاد، والحديث المستدل به هو عن دولة إنجلترا العظمى باقتصادها الضخم وبترسانتها العسكرية، كل هذا جعل من المجتمع قوة سياسية تعلق على قوة البرلمانات بل الحكومات، وأسهم تطوّر وظهور وسائل تواصل

¹ اكسل هونيت وآخرون، المرجع نفسه، ص 36.

² Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, Ibid, p411.

جديدة كانت أكثر تأثيراً وأقوَمَ قليلاً في اتّساع هذه القرية الدولية التي أذابت كل الفوارق وحطمت الحدود وبنّت رأياً موحدًا اعتلى فوق كل الحدود الوطنية، فأصبح الناس يتداولون أحاديث السياسة على موائد المقاهي بكل جرأة وتقول أشياء كانت قبلُ محرّمةً سياسياً من طرف الدول الدركية بأجهزتها القمعية والاستخباراتية، وأصبحت التوعية الاجتماعية عن طريق وسائل التواصل الجديدة هاته كالتيك توك أو التويتير تُنوّزُ عقول الأفراد سياسياً وتكشف عن تلاعبات المؤسسات السياسية بالأفراد في شكلها الميكيا فيلي الصّرف، فما عاد هذا المجتمع بحاجة إلى الوساطات والنيابات التي تغنت بها الحداثة لأنها بكل بساطة كانت وسائل وأدوات في يد الفئة الغالبة تستخدمها بكل مكر لقضاء مصالحها على حساب آمال الفرد البسيط الذي يجد نفسه مغرراً به داخل حلبة السياسة بكل خداعها وأساليبها الماكرة والغاشمة. ومن أجل ذلك فإن عدم إقحام الآلية الاجتماعية Le mécanisme social يُخلخلُ التوازن الديمقراطي، ويجعل الديمقراطية هي ديمقراطية النخبة وليس العموم⁽¹⁾.

إن نظرية المجال العمومي الهابرماسية لمي ضرب صريح لفكرة أن السياسة هي حكر على الساسة وحدهم أو ممتنوها أو منظروها. لكن مع ظهور كتلة المجتمع لن يعود المجال السياسي في حكر يد مهيمنة تعتبر أن لها وحدها الشرعية والمشروعية في رسم خطوط السياسة وتغيير مساراتها وبوتقتها وفق أي قوالب وأشكال هي من تختارها دون مشورة حقيقية لأطراف المجتمع، وفي هذه القرارات ضياع حقوق المواطن واندثار حقه في العيش الكريم وتقطع خيوط العدل والعدالة، وفي هذا المصبّ يقول ثراسيمانوس في "جمهورية أفلاطون": "أقول إن العدل ليس إلا المزيّة التي يتمتع بها الأقوياء (...). فكل حكومة تسن قوانين ديمقراطية، والاستبداد يسن قوانين استبدادية، وقِسْ على ذلك غيرها، وعندما تنتهي من سن هذه القوانين، تعلن أنها قوانين عادلة لرعاياها، أي تحقق مصالحهم ومزايهم، وهي تعاقب من يخرق هذه القوانين باعتباره بلطجياً وظالماً. هذه إذن يا صديقي الكريم، قَوْلِي عن العدل، وهو لا يتغير بتغير المدن، فامتياز الحكومة القائمة، ومنطق الاستدلال الصحيح ينتهيان إلى أن مفهوم العدل لا يختلف من مكان لمكان، فهو المزيّة التي تحقق مصالح الأقوياء"⁽²⁾.

¹ Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, ibid, p376.

² ريتشارد رولين، مقولات النقد الثقافي، مدرسة فرانكفورت، الوجودية، ما بعد البنيوية، ترجمة: محمد عناني، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016)، ص29.

هنا تَنبَّهَ هابرماس بعين صقر ثاقبة هَوْلٌ ورُعبٌ فكرةً احتكارٍ يد سياسية صغيرة على المشهد والقرار السياسي، إن الدولة قد تستعمل ذرائع لتبرير مقرراتها وقد تكون هذه الذرائع وهمية وواهية، فقد تأتي في صفة حقٍّ كما قال علي بن أبي طالب يوماً عندما وصف المكرَ الذي يتلبَّس بصورة الحقِّ بتوصيفه بحق أريد به باطل، وذلك للتدليل على سلوك المكر في مظهر الاستقامة، وهو يكونُ في حالة الدولة التي تُشرِّعُ بصفة مطلقية، تُقيمُ وتُقَعِّدُ كيفما تشاء وفي الزمان والمكان الذي تشاء هي دون مراعاة رأي كل الجمهور فتضرب مبدأ الكليانية *totalité* عرض الحائط، ونتساءل من جديد في خضم هذا اللبس والانغماض وعض سؤال ما الدولة الذي يحمل صبغة تجريدية سيكون السؤال أكثر قصدية وسينجلي في من هي الدولة؟

أي ما هي عناصرها ومن ما تتكون، بمعنى أكثر وضوحاً من هم الأشخاص الذين يمثلونها ويختلفون خلف شخصها الاعتباري ويحركونها بأن يتخذا القرارات المستبدة تحت اسمها وخلف ذريعة إرادتها أي إرادة الدولة بما هي شخص معنوي، وحيث أنها لا تستوفي كل إرادات المجتمع وبالتالي فهي لن تتعدى أن تكون إرادتها شخصية في النهاية، فيتم التلاعب بالشرعية بانتهاج مبدأ الشرعنة وتبرير منطق المشروعية وفي النهاية تقوم بتلية مصالح ذاتية تحت جبتها وباستعمال يدها وتدغم معها إرادة المجتمع. يقول يحيى الجمل في كتابه "الأنظمة السياسية المعاصرة": "إذا كانت السلطة ضرورية لتحقيق أمن المجتمع، فإنه ينبغي لها ألا تبتلع حريات الأفراد، السلطة ضرورية، والضرورات تُقدَّرُ بقدرها"⁽¹⁾.

إن قرارات تستفرد بها الدولة رغم أنها التجلي المطلق للأفراد داخل حيزها ورُقعتهما وهذا هو التصور الذي ينبغي أن يكون لها، إنما هي في واقع الأمر هي تحوز واستئثار ينبري معه طمس للرأي الجماعي وللرؤى الموحدة النابعة من انصهار كل تصورات مكونات المجتمع دون استثناء. وما اتخاذ قرار إعلان الحرب على دولة والدخول في مواجهات وتصادمات قد تجرَّ المجتمع إلى مجاعاتٍ وقيودٍ لهما خير دليل على استغلال الدولة لشرعيتها بشكل تعسفي في صورة وثوب يخفي خلفه نوايا غير حسنة.

خاتمة:

رأينا مع هابرماس أن السياسة لم تعد حكرًا على السياسي وأن كل أجهزة ومؤسسات الدولة من حكومات وبرلمانات ومجالس دستورية لم تعد مطبخًا لصنع القرار، لأنه جاء منبرًا وفضاءً جديدًا أكثر اتساعًا وشمولية

¹ محمد بهاوي، الدولة والمجتمع، مرجع سابق، ص 103.

وتأثيرا هو ما أطلق عليه هابرماس الفضاء العمومي l'espace public هذا الفضاء حيث الحرية والنقاش الحر والمفتوح بين متحاورين عقلانيين لينتقل المجتمع من مجتمع الدولة إلى دولة المجتمع.

ورأينا كيف تحولت الدولة الوطنية إلى دولة اجتماعية يصبح فيها المجتمع يصنع قراره ويتدخل في الشأن السياسي كما يحدد طريقة عيشه في ظل مناقشات وحوارات تسعى إلى إشراك الكل داخل الفضاء العمومي الذي راهن عليه هابرماس بقوة ليأتي لسد ثغرات وهفوات الحداثة وما تركته من أعطاب، لكن ذلك لن يتأتى ولن يكون في الممكن إذا لم يتضمن هذا المجتمع بين جنباته أفرادا يتمتعون بحس العقلانية والحوار الحر المفتوح الخالي من العصبية والمذهبية، ليكون فضاء كجسم سياسي يحسم في قضاياها بشكل مباشر دون التعويل على مؤسسات الدولة وحدها لأنها قد تكون قاصرة على بلوغ مراميها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الحيدوري، عبد السلام. هابرماس وتشريح الفضاء العمومي الليبرالي، تونس: الدار التونسية للكتاب، ط1، 2021.
2. النبواني، خلدون. التباسات الحداثة هابرماس في مواجهة دريدا، بيروت: مجلة مؤمنون بلا حدود، ط1، 2022.
3. تورين، ألان. ما هي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت: دار الساق، ط3، 2016.
4. جوردان فينليسون، جيمس. يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: أحمد محمد الروبي، المملكة المتحدة: مؤسسة هندواوي، 2015.
5. جيلسون، إتين. اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية للغة، ترجمة: قاسم المقداد، سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2017.

6. حسين عباس، ثناء. الحجاج والمجتمع من أجل حوار ببناء وخطاب بلا عنف، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2019.
7. ركح، عبد العزيز. ما بعد الدولة - الأمة عند يورغن هابرماس، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1، 2013.
8. رولين، ريتشارد. مقولات النقد الثقافي، مدرسة فرانكفورت، الوجودية، ما بعد البنيوية، ترجمة: محمد عناني، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2016.
9. عبد الصمد، حامد. سقوط العالم الإسلامي نظرة في مستقبل أمة تحتضر، القاهرة: سطور للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
10. عبد اللاوي، الناصر. الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، بيروت: دار الفارابي، ط1، 2012.
11. عبود المحمداوي، علي. الإشكالية السياسية للحدثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، بيروت: منشورات الاختلاف، ط1، 2011.
12. هابرماس، يورغن. إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة: عمر مهيبيل، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.
13. هونيت، أكسل، وآخرون، الفضاء العمومي في المطارحات ما بعد الهابرماسية، قراءات في المفهوم والدلالات والمآلات، ترجمة: كمال بومنيير، تونس: مؤسسة GLD للنشر والتوزيع، 2022.
14. أفاية، نور الدين. الحدثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط1، 1998.
15. محمد بهاوي، الدولة والمجتمع، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط1، 2013.
16. Brown, Craig, Habermas and Giddens on praxis and modernity, London, Anthem Press, 2017.
17. Melkevik, Bjarne. Droit et agir communicationnel: penser avec Habermas, Paris, Éditions Buenos Books International, 2012.
18. Mellos, Koula,- Savidan, Patrick, Pluralisme et Délibération, Enjeux en philosophie politique contemporaine, les presses d'Ottawa, Ottawa, 1999.

19. -Jürgen Habermas, De l'éthique de la discussion, Traduit par Mark Hunaydi, Paris Edition Champs, 2023.
20. -Jürgen Habermas, Droit et démocratie entre faits et normes, traduit par Rainer Rochlitz et Christian Bouchindhomme, Paris, Edition Gallimard, 1997.p406.
21. --- Truth and Justification, Traduction Barbara Fultner, Boston, The Mit Press Massachusetts, 2003.

دور أساليب المعاملة الوالدية في تعزيز الصحة النفسية للمراهق

The role of parenting styles in promoting adolescent mental health

د. بوزريبة سناء (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف) - د. لكحل وهيبة/جامعة باجي مختار عنابة الجزائر

Dr. Bouzriba Sana (Chadli Bendjedid University, El Tarf) - Dr. Lakhal Wahiba (Badji Mokhtar University, Annaba)

Abstract:

Discussing mental health is a crucial starting point for understanding all human behaviors, both positive and negative, as it is one of the most prominent outcomes of these behaviors, regardless of their causes or how they affect the individual. The developmental stage of adolescence, in particular, is pivotal in a person's life trajectory. During this period, the family remains the primary source of guidance and bears significant responsibility for the adolescent's healthy or unhealthy upbringing. This is due to the parenting styles employed and their role in fostering mental health and enabling the adolescent to assume important roles in life. Therefore, this research paper aims to address the most important positive parenting styles in promoting adolescent mental health, their manifestations, and their determinants.

Keywords :Parenting styles, mental health, adolescent.

مستخلص:

يعتبر الحديث عن موضوع الصحة النفسية منطلقا داعما لمعرفة كل السلوكيات الإنسانية سواء كانت سلبية أو إيجابية، لأنها من أبرز مخرجات تلك السلوكيات بغض النظر عن مسبباتها وكيفية تأثيرها على الفرد، وتعتبر المرحلة النمائية التي هو فيها ونخص بالذكر هنا فترة المراهقة التي تختص بالمحورية في المسار الحياتي له، إذ تبقى الأسرة في هذا المسار المرجع الأول والمسؤول الكبير عن التنشئة السوية أو غير السوية للمراهق، وذلك بسبب أساليب المعاملة الوالدية المنتهجة وما لها من دور في تعزيز صحته النفسية، والارتقاء به إلى اعتلاء أدوار مهمة في الحياة، وعليه ارتأينا في هذه الورقة البحثية التطرق إلى أهم أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية في تعزيز الصحة النفسية للمراهق ومظاهرها ومحدداتها.

الكلمات المفتاحية: أساليب المعاملة الوالدية، الصحة النفسية، المراهق.

مقدمة:

تعتبر فترة المراهقة فترة تحولات طارئة، بحيث تزداد فيها حدة الانفعالات وخاصة في المرحلة الأولى حيث تطرأ التغيرات النمائية، تزامنا مع التغيرات الجسدية، وسرعان ما تقل حدة الانفعالات مع هدوء سرعة النمو، أي عندما يبلغ المراهق السادسة عشر من العمر تقريبا.

يحاول المراهق الصغير أن يخفي من انفعالاته ليظهر في أمزجة سلبية، كالاكتئاب، والشعور بالخجل والارتباك والحرص... في الواقع يمكن أن تسهم التغيرات الهرمونية في تلك التقلبات والانفعالات لدى المراهقين، والتي تعتبر العامل الرئيسي في هذا التوتر، إلا أن هذا لا يعني أن التغيرات البيولوجية هي الوحيدة المسؤولة عن الانفعالات لدى المراهقين، بل يعتمد هذا التفاعل مع عوامل أخرى، إذ يعد شعور المراهق نحو نفسه من جهة ونحو الآخرين من جهة ثانية من أبرز ملامح حياته الانفعالية، بحيث لا يستطيع التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، فإنه يقوم بحركات لا تدل على الاتزان الانفعالي لديه، وقد تكون الانفعالات المكشوفة غطاء الانفعالات المستورة، فالظروف التي تثير الانفعالات في فترة المراهقة متنوعة كتتنوع ظروف الحياة نفسها، هناك مظهر آخر من مظاهر الصراع ناتج عن اعتماد المراهق بذاته ومحاولة التحرر من التبعية الطفلية والخضوع لأوامر الأبوين، فكثيرا ما يستثار الغضب في فترة المراهقة بسبب مطالب الوالدين الملحة المفروضة على

صغارهم والتي تتناقض ورغبات أبنائهم وبناتهم، وهناك الكثير من القيود التي تمارس داخل المنزل تكون سببا للاحتكاك والصراع، وإن هذه القيود وتلك كثيرا ما تعكس الأعراف والتقاليد المنتزعة من الوسط الثقافي، والاجتماعي الذي يعيشون فيه.

إن فهم الوالدين للمتطلبات النفسية لهذه المرحلة وفهم انفعالات أبنائهم المراهقين فهما جيدا، والتعامل معها بطريقة مناسبة من شأنه أن يعزز الصحة النفسية لأبنائهم المراهقين، إلا أن أساليب المعاملة الوالدية تختلف من أسرة لأخرى والتي يمكن تعريفها بأنها الطرق والأساليب الخاطئة أو الإيجابية أو السلبية التي يمارسها الوالدان مع أبنائهم، وذلك بهدف تربيتهم وتنشئتهم في مواقف الحياة المختلفة.

كما أنها السلوكيات التي يتبعها الوالدان في تطبيع وتنشئة أبنائهم اجتماعيا، قد تكون مقصودة، أو غير مقصودة، بحيث تؤدي إلى تشكيل شخصية أبنائهم وتوجيه سلوكهم، من أجل تحقيق صحة أبنائهم النفسية وتعتبر هذه الأخيرة حالة دائمة نسبيا من توافق الفرد مع نفسه ومع بيئته، انفعاليا واجتماعيا، ويشعر فيها بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين أي يكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة سوية، ويكون سلوكه عاديا، يعيش في سلم وأمان.

1- مفهوم أساليب المعاملة الوالدية:

- يعرف (زهران 1984) أساليب المعاملة الوالدية: "بأنها الأساليب النفسية الاجتماعية التي يتبعها الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية كالثواب والعقاب، بنوعها المادي والمعنوي مما يجعل هذه الأساليب تؤثر في نمو الطفل العقلي والانفعالي والاجتماعي".¹

- وأساليب المعاملة الوالدية (حسب بيومي حسن) هي الطرق التربوية التي يتبناها الوالدان لإكساب أبنائهم الاستقلالية والقيم والقدرة على الإنجاز وضبط السلوك.²

1. المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، رمانة عيسى و فقير تقي الدين، دور المعاملة الوالدية في تعزيز الثقة بالنفس لدى المراهق المتمدرس -دراسة ميدانية ببعض ثانويات مدينة المدية، دون سنة، ص 220.

2- مجلة دراسات نفسية وتربوية، مواس جميلة، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها المراهق وفق المقاربة النسقية، جامعة البليدة 2، المجلد 8، العدد 02، نوفمبر 2022، ص 13.

-وعرفت أساليب المعاملة الوالدية بأنها: " الأسلوب الذي يتبعه الآباء لإكساب الأبناء أنواع السلوك المختلفة و القيم والعادات و التقاليد، و تختلف باختلاف الثقافة والطبقة الاجتماعية وتعليم الوالدين والمهنة وتؤثر على ما سوف يكتسبه الفرد من خصائص مرتبطة بالأسلوب التربوي المتبع".

- وتعرف أيضا بأنها: " مجموعة الطرق التي تتبعها الأسر كأنماط أو نماذج في التعامل مع أطفالهم وتنشئتهم في مختلف المواقف الحياتية والتي تؤثر على التكوين النفسي والتوافق الاجتماعي للطفل".¹

تعرف أساليب المعاملة الوالدية أيضا بأنها " الطرق والعمليات التي يستخدمها الآباء مع الأبناء في المواقف الحياتية سواء كانت إيجابية بقصد تدريب الأبناء، وتعليمهم المعايير التي ارتضاها المجتمع، أو كانت سلبية تؤدي إلى عدم التوافق النفسي والاجتماعي والخروج عن المعايير التي ارتضاها المجتمع".²

الصحة النفسية للمراهق:

وانطلاقا مما سبق يمكن أن نعرف إجرائيا أساليب المعاملة الوالدية بأنها: " مجمل الأنماط والطرق والنماذج التي يستخدمها الوالدين في تنشئة أبنائهم وتربيتهم، لتكييفهم مع المواقف الحياتية المختلفة بما يتماشى والعرف الاجتماعي المقبول".

2- الصحة النفسية للمراهق:

تعتبر المراهقة سن مميزة في حياة كل إنسان، وإذا استطاعت كل أسرة أن تضمن لأبنائها صحة جيدة، عندئذ يكون المجتمع سليما متوازنا، ويتمتع بمستقبل آمن، وباعتبار أن الصحة النفسية للمراهقين ضرورة حتمية لبناء مجتمعي زاهر، وجب على كل المختصين والآباء العناية بها، وستحاول الباحثين توضيح مفهوم كل من الصحة النفسية والمراهقة وكذا التطرق إلى بعض جوانب الصحة النفسية للمراهق.

الصحة النفسية:

لقد تعددت التعريفات لمصطلح الصحة النفسية، ومن أهمها:

¹- مقحوت فتيحة ، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط – دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات – الجزائر العاصمة - رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، 2014/2013، ص 74.

²- المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109 ، المجلد الثلاثون ، أكتوبر 2020، ص 6.

تعريف "حامد زهران": يمكن تعريف الصحة النفسية على أنها حالة دائمة نسبيا يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا (شخصيا وانفعاليا واجتماعيا) مع نفسه ومع الآخرين، ويشعر بالسعادة، ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكوين شخصيته متكاملة سوية، ويكون سلوكه عاديا، ويكون حسن الخلق بحيث يعيش في راحة وسلام.

والصحة النفسية حالة إيجابية تتضمن التمتع بصحة العقل وسلامة السلوك، وليس مجرد غياب أو خلو أو براء من أعراض المرض النفسي، كما جاء في تعريف منظمة الصحة العالمية بأنها حالة من الراحة الجسمية والنفسية والاجتماعية وليست مجرد عدم وجود المرض.¹

أما البعض فيرى أن الصحة النفسية هي عملية التوافق النفسي، ويتحدد إذا كان التوافق سليما أو غير سليم تبعا لمدى نجاح الأساليب التي يتبعها الفرد للوصول إلى حالة التوازن النسبي مع بيئته، ونجاح عملية التوافق النفسي يؤدي إلى حالة التوافق النفسي الذي يعتبر قلب الصحة النفسية.

ويكون ذلك على ثلاثة مستويات أولها المستوى الشخصي ويتضمن السعادة مع النفس والرضا عنها، وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية، والثانوية المكتسبة.

أما على المستوى الاجتماعي ويتضمن السعادة مع الآخرين، والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية، والامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي، وتقبل التغيير الاجتماعي، والتفاعل السليم والعمل لخير الجماعة.

أما على المستوى المهني أو الأكاديمي بالنسبة للمراهق فيتضمن الاستعداد العلمي والتدريب لاختيار مهنة مناسبة، والإنجاز والكفاءة والإنتاج والشعور بالرضا والنجاح.²

3- مفهوم المراهقة:

تعددت مفاهيم مصطلح المراهقة عند المؤلفين والباحثين، وفيما يلي إيجاز لبعض منها:

لغة: مشتقة من الفعل "رهب" ومنه قولهم: غلام مراهق، أي مقارب للحلم. رهبق الحلم: قاربه، وفي حديث موسى والخضر: فلو أنه أدرك أبويه لأرهبهما طغيانا وكفرا أي أغشاهما وأعجلهما، وفي التنزيل، "أن يرهبهما

¹ حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4، ص9.

² حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4، ص27.

طغيانا وكفرا". ويقال طلبت فلانا حتى أرهقته، أي حتى دنوت منه، فربما أخذه وربما لم يأخذه، ورهق شخصاً أي فلان أي دنا وأزف وأفد. والرهق: العظمة والرهق العيب والرهق الظلم، وفي التنزيل: "فلا يخاف بخسا ولا رهقا" أي ظلماً، وقال الأزهري: في هذه الآية الرهق اسم من الإرهاق، وهو أن يحمل عليه ما لا يطيقه، ورجل مرهق إذا كان يظن به سوء.¹

اصطلاحاً: أخذ تعريف الـ **مراهقة** من الناحية الاصطلاحية اهتماماً كبيراً من طرف العلماء والمفكرين فمنهم من يركز على الجانب الانفعالي، ومنهم من يركز في تعريفه على الجانب الاجتماعي ومنهم من يركز على المرحلة العمرية كونها مرحلة مهمة من مراحل النمو الإنساني.

تعريف "**ستانلي هول Stanly Holl**": هي مرحلة من العمر تتميز فيها تصرفات الفرد بالعواطف والانفعالات الحادة والتوترات العنيفة.

تعريف "**نوربرت سيلامي Norbert Sillamy**": هي فترة من الحياة تقع بين الطفولة والرشد تبدأ من سن 12 وتنتهي إلى سن 22 سنة تقريبا، وحدودها ليست دقيقة لأن ظهورها ومدتها يتغيران حسب الجنس، العرق، والظروف الجغرافية والوسط الاجتماعي والاقتصادي.

تعريف "**عبد المنعم الميلادي**": يعرفها بأنها مرحلة عمرية ليست بالقصيرة، وهي مرحلة نضج ونمو في نواحي مختلفة، بالنسبة للذكر والأنثى، يحدث فيها نمو ملحوظ من خلال إفراز هرمونات جنسية معينة، إضافة إلى حدوث نمو انفعالي، ولكن بأقل درجة من الأنواع الأخرى من التغيرات.²

من خلال التعريفات السابقة يمكن تعريف **المراهقة اصطلاحاً** بأنها تلك مرحلة النمو الانتقالية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد التي تقع بين 12 و22 سنة، أي من بداية البلوغ إلى مرحلة النضج الجنسي الذي يسمح بالإخصاب والحمل، وترافق هذه المرحلة مجموعة من التغيرات الجسمية والفسولوجية، بما فيها من تغيرات في إفرازات الهرمونات، بالإضافة إلى التغيرات الانفعالية النفسية، وصولاً للنمو المتوازن لجميع مكونات الشخصية.

كما تقسم **العالمة "هيرلوك"** المراهقة إلى ثلاثة مراحل:

¹مجلة التمكين الاجتماعي، قندوسي سعدية، مرحلة المراهقة نظرياتها وخصائصها، المجلد 9، العدد 4، ديسمبر 2021، ص 122.
²ونجن سميرة، إسهام الأسرة التربوي في تفوق أبنائها دراسياً، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة محمد خيضر بسكرة، علم الاجتماع التربوية، 2017، ص 43-44.

1. مرحلة ما قبل الفتوة وتمتد من 10 إلى 12 سنة.

2. مرحلة الفتوة المبكرة وتمتد من 13 إلى 16 سنة.

3. مرحلة الفتوة المتأخرة وتمتد من 18 إلى 21 سنة.

إذ يعتبر البلوغ بداية مرحلة المراهقة، وتؤكد هيرلوك على أهمية عدم الخلط بين المراهقة وفترة البلوغ، والتي يتم فيها النضج الجنسي، لأن المراهقة تمتد من سن البلوغ أي السن التي تنضج فيه الوظائف الجنسية، وتنتهي بين النضج العقلي والانفعالي والاجتماعي.¹

4- مطالب وخصائص النمو ومحددات الصحة النفسية للمراهق :

لقد أصبحت مسألة الصحة النفسية للمراهقين مسألة مهمة، فالمراهقة فترة حاسمة من أجل تطوير عادات اجتماعية وعاطفية مهمة بالنسبة إلى السلامة النفسية، ويشمل ذلك اتباع أنماط نوم صحية، وممارسة الرياضة بانتظام، وتطوير مهارات التأقلم وحل المشاكل ومهارات التواصل مع الآخرين؛ وتعلم كيفية إدارة العواطف. وتتسم كذلك البيئات الداعمة داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي بنطاقه الأوسع بالأهمية أيضاً.²

ومن مطالب النمو والتوافق النفسي في هذه المرحلة:

- نمو مفهوم سوي للجسم وتقبله، وتقبل الدور الجنسي في الحياة وكذا التغيرات الناتجة عن النمو الجسدي والفيزيولوجي والتوافق معه.
- تكوين المهارات والمفاهيم الأساسية للإنسان الصالح، واستكمال التعليم.
- تكوين علاقات ناضجة مع الأقران من الجنسين، نمو الثقة في الذات والشعور الواضح بكيان الفرد، وتقبل المسؤولية الاجتماعية.
- امتداد الاهتمامات خارج حدود الذات.
- اختيار مهنة مستقبلية والاستعداد لها جسدياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً.
- ضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي، ونمو الدور الاجتماعي الجنسي السليم والقيام به.

¹ مجلة التمكين الاجتماعي، قندوسي سعدية، مرحلة المراهقة نظرياتها وخصائصها، المجلد 09، العدد 04، ديسمبر 2021، ص 123.

² <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/adolescent-mental-health> اليوم: 2025/11/15 على الساعة: 116:15

▪ بلوغ الاستقلال الانفعالي عن الوالدين وعن الكبار.¹

5- خصائص النمو الاجتماعي والانفعالي في مرحلة المراهقة:

يعرف النمو الاجتماعي في هذه المرحلة عدة تغيرات يمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- يتم في هذه المرحلة عملية التطبيع الاجتماعي الفعلي الذي يؤدي إلى تكوين المعايير السلوكية.
- الميل إلى مشاركة الأقران الأنشطة المختلفة.
- الميل إلى الاستقلال الاجتماعي وخاصة داخل الأسرة.
- مساندة الجماعة والرغبة في تأكيد الذات.
- البحث عن القدوة والنموذج.
- نمو القدرة على فهم ومناقشة الأمور الاجتماعية.
- الحساسية للنقد والميل إلى الجدل مع الكبار.
- لا يرضى بتوجيه الأوامر إليه أمام الآخرين.
- إظهار الاهتمام بالمظهر الشخصي.²

هنا تظهر الاستقلال الاجتماعي للمراهق، كما تظهر لديه تحمل بعض المسؤوليات الاجتماعية، والقيام بالدور الاجتماعي داخل الجماعات، كما تظهر لديه الانتماء الاجتماعي لجماعة معينة كمجموعة الأقران، والوعي بالمكانة الاجتماعية.

أما انفعالياً إن أهم النواحي التي تؤثر على حياة المراهق من حيث نظرتة إلى نفسه أو من حيث علاقته بالمجتمع، هي حالات الانفعالية، ومدى قدرته على السيطرة والتحكم فيها، وهي على العموم حتى عند أكثرهم اتزاناً تختلف عن انفعالات الأطفال من جهة وانفعالات للراشدين من جهة أخرى.

ومن أهم هذه الخصائص والميزات:

- عدم قدرة المراهق (وعلى الأخص بداية مرحلة المراهقة) على التحكم بانفعالاته.

¹ حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4، ص 27.

² حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4، ص 45.

▪ عنف الانفعالات: حيث يثور المراهق في هذه الفترة لأتفه الأسباب، وفي هذه الخاصية يقترب المراهق فيها من الأطفال وربما يكون عنيف الانفعال مرتبط إلى حد كبير بالتغيرات الجسمية السريعة والمفاجئة والتي لا يوفق الفرد فيها إلى حسن التعليل.

▪ ظهور حالات اليأس والقنوط ومعاناة المراهق لخيبات الأمل، وهذه الخاصيات تنتشر بين المراهقين الذين يواجهون مواقف صعبة ومعاملات قاسية ينتج عنها إحباط طفيف بسبب تعارض رغباتهم وتصرفاتهم، وقد تزيد هذه الحالات ويزداد وقعها على بعض الأفراد حتى تصل إلى حالات التفكير بالانتحار أو القيام به فعلاً.

▪ الكثير من انفعالات الفرد تتراكم وتتحول إلى اتجاهات أولاً ومن ثم إلى عواطف نحو ذاته ونحو رفاقه ووطنه، ومن العواطف المعروفة عند المراهق العواطف المعنوية المتمثلة بالتضحية والمروءة والإنصاف.¹

6- خصائص الناضج انفعاليا:

إن الفرد الطبيعي حينما ينمو ويتقدم فيه العمر في جميع جوانب شخصيته ومنها الجانب الانفعالي الذي يتميز عند الناضج بالخصائص التالية:

- يكون الفرد متحرراً من الميول والاتجاهات الطفولية كالأنانية والاتكالية وعدم تحمل المسؤولية.
- ألا تثيره مثيرات تافهة.
- التعبير عن الانفعالات بصورة بعيدة عن التعبيرات البدائية والحركات التطفلية، فمن علامات الشخص الناضج أنه عندما يعارض لا يتشنج ولا يثور بل يرفض بهدوء وثبات وإصرار.
- له القدرة على ضبط النفس في المواقف التي تثير الانفعال، والبعد عن التهور والاندفاع، فمن المعروف أن الشخص الذي لم ينضج تتسم انفعالاته بالقسر فلا يستطيع إبعادها بإرادته.
- له القدرة على احتمال التأزم والحرمان وعلى تأجيل الذات العاجلة من أجل الحصول على الذات الأجلة، أي له القدرة على جعل الأهداف البعيدة في المحل الأول والأهداف القريبة في الموقع الثاني.

¹ - عبد العظيم عبد الغني المظفر، 2019، الخصائص الانفعالية للمراهق: الأسرة والمجتمع، المرجع الإلكتروني للمعلومة، اليوم: 11/04 /2025: 23: 22 سا <https://almerja.com/reading.php?idm=124363>

■ يتصف بالرصانة والانفعالية أي إن حالته الانفعالية مستقرة غير متذبذبة ولا تنقلب لأسباب تافهة بين حالة ونقيضها، أي لا ينتقل من حالة الفرح الشديد إلى حالة الكآبة العميقة.¹

7- أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية:

يقصد بها الأساليب السوية من وجهة نظر الحقائق التربوية، حيث يترتب عليها شخصية متزنة وسوية و تتمتع بحظ وافر من متطلبات الصحة النفسية وخصائصها، وقد عرفتها مايسة أحمد النيال (2002) بأنها تلك الأساليب السوية والبناءة التي يتبعها الوالدان في التعامل مع أبنائهم وتؤدي إلى تنشئة الأطفال تنشئة سليمة، وفي ما يلي أهم هذه الأساليب:

7-1- الأسلوب الديمقراطي:

يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب التي تحقق الصحة النفسية للطفل، حيث يتضمن تجنب الأساليب الخاطئة وغير السوية وتطبيق أسس الصحة النفسية، ويترتب عليها التوافق والتكيف النفسي والاجتماعي، ويتميز هذا النمط بالابتعاد عن النظام الصارم على الطفل أو كبح إرادته من قبل الوالدين معتمدين على سلطتهما وقوتهما ومقيمين سلوك الطفل وفقا لمعايير مطلقة محددة للسلوك، ويتم تشجيع الوالدين الأطفال على المناقشة و مساعدتهم على اتخاذ القرارات مع ترك حرية الاختيار لهم و التعبير عن آرائهم ومشاعرهم². وفي نفس السياق جاءت دراسة (حنان الشقران 2012) التي هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين أنماط التنشئة الأسرية وتحقيق الهوية والاضطراب النفسي، حيث تكونت عينة الدراسة من 78 طالبا وطالبة، وقد أظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية دالة إحصائياً بين نمط التنشئة الديمقراطي وتحقيق التوافق والهوية النفسية، ووجود علاقة إيجابية دالة إحصائياً بين نمط التسلط - والحماية-الإهمال وبين الاضطراب النفسي³.

¹ عبد العظيم عبد الغني المظفر، 2019، الخصائص الانفعالية للمراهق: الأسرة والمجتمع، المرجع الإلكتروني للمعلومة، <https://almerja.com/reading.php?idm=124363> اليوم: 2025/11/4 : 23 : 22 سا.

² مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 139، 140.

³ - المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109، المجلد الثلاثون، أكتوبر 2020، ص 14.

2-7- أسلوب التقبل:

إن دفاء المعاملة يتمثل في سعي مشاركة الطفل والتعبير عن حبه وتقدير رأيه و إنجازاته والتجارب معه و التقرب منه من خلال حسن الحديث إليه و الفخر بتصرفاته مع مراعاة استخدام لغة الحوار والشرح لإقناعه وتوضيح الأمور له، ورى الدمرداش (1984) أن أسلوب التقبل يتجسد فيما يظهره الوالدين من حب لأطفالهم من خلال معاملتهما لهم، وتقبل الطفل شرط من شروط التنشئة الاجتماعية السليمة، والأطفال الذين يتم تقبلهم غالباً ما يكونوا أقل تهاوناً وأكثر استقلالاً و طمأنينة.

3-7- أسلوب التسامح:

يعني كون الوالدين أقل سيطرة على الأبناء، فيتيحون لهم بذلك الفرصة أن يشكلوا مستقبلهم ويشبعوا حاجاتهم، ويحققون مطالبهم ويسمح الآباء من خلال هذا الأسلوب لأبنائهم بممارسة ما يميلون إليه من أنشطة دون ضغط أو سيطرة عليهم، وتميل الأم المتسامحة إلى تحمل سلوك ابنها الذي يحتاج للتعديل، وهي بذلك تتيح أمامه الفرصة لكي يعتمد على ذاته ويستقل بشخصيته وحينما يسلك وفق ما هو متوقع منه يثاب على سلوكه مما ينهي فيه الثقة بالنفس والتلقائية.¹

وفي هذا السياق قد قامت الباحثة (ولاء العشري 2011) بدراسة عن "أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالذكاء الوجداني لدى المتفوقين دراسياً"، على عينة من 296 من طلاب المرحلة الثانوية من الجنسين، وأشارت الدراسة إلى أن المعاملة الوالدية التي تتم وفق أسس وقواعد تتميز بالسواء النفسي لا تساعد الأبناء على تخطي صعوبات المراهقة وعثراتها فقط، بل تُعجل بوصولهم إلى مستوى الاتزان الانفعالي المنشود، وأن أفضل أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية كما يدركها الأبناء هي التوجيه للأفضل ثم التشجيع والتسامح.²

¹ - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 139، 140.

² - المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109، المجلد الثلاثون، أكتوبر 2020، ص 11، 12.

4-7- أسلوب الاستقلال:

هو منح الطفل قدرا من الحرية لينظم سلوكه دون دفعه إلى اتجاهات محددة، و دون كف ميوله من خلال قواعد ونظم تطلب منه ممارستها من غير مراعاة لرغباتها وتزويده بمعلومات عن نتائج سلوكه¹.

إن الحاجة إلى الاستقلال شديدة الاتصال بالحاجة إلى تأكيد الذات، فتأكيد الذات لا تحقق بصورة سوية، إلا بالاستقلال الذي يتاح للطفل، فالاعتماد على النفس والمبالغة في حماية الطفل التي تعرف بظاهرة الإفراط في الحماية، في حين التبعية والتحكم كأسلوب تنشئة يؤدي إلى تكوين شخصية قلقة غير قادرة على العمل، تعاني من الانطواء والخجل ليست لديها القدرة على التفكير أو اتخاذ القرار أو تحمل المسؤولية، بل تحتاج إلى من يقودها دائماً².

5-7- أسلوب الثواب والعقاب:

يعتبر من تقنيات التنشئة الاجتماعية الإيجابية التي يعتمد عليها الآباء، فاستخدام صيغ الثواب مع الطفل يؤدي إلى سرعة تعلمه وفعاليتها، و يكون الثواب عند قيام الطفل بسلوك جيد أو إنجاز بعض المهام في الأسرة، ففي هذه الحالة تأخذ صيغ الثواب عدة ممارسات كالمدح والثواب والثناء و شراء هدايا، أما إذا قام بسلوك غير مرغوب كالكذب و السرقة وعقوق الوالدين وعدم التعاون مع الأسرة ففي هذه الحالة يجب استخدام أسلوب العقاب مثل مقاطعته و ضربه³.

وهناك نوعان من العقاب عقاب إيجابي وعقاب سلبي:

- العقاب الإيجابي: ويقصد به إعطاء أو تقديم منبه منفر أو مؤلم للفرد نتيجة لإصداره سلوكاً غير مرغوب و قد يكون هذا العقاب الإيجابي بدنياً كالضرب مثلاً، ويمكن أن يكون لفظياً (معنوياً)، مثال ذلك توجيه اللوم والتأنيب لمن يصدر سلوكاً غير مقبول اجتماعياً أو لا يمثل لمعايير الجماعة.

¹ - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 139.

² - المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109، المجلد الثلاثون، أكتوبر 2020، ص 8.

³ - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 140.

- العقاب السلبي: توقف تقديم الإثابة أو المكافأة بهدف خفض تكرار السلوك غير المرغوب أو استبعاده تماماً كأن يحرم الابن من مصروفه الخاص أو يحرم من رحلة يرغبها، ويعد هذا الأسلوب أكثر فاعلية في تعديل السلوك مقارنة بأسلوب العقاب الإيجابي.¹

6-7- أسلوب التشاور:

يعد الحوار من بين أهم العناصر الأساسية التي تقوم عليها الأسرة السوية، إذ يتيح الحوار آراء وميولات وإيضاح رغبات كل أفراد الأسرة لبعضهم مما يولد فرصة التعبير عن التفاهم والتناسق بينهم، ويعزز سبل الترابط وإقامة الأعدار لبعضهم في الصراعات العائلية والمواقف المشحونة، وتجاوزها بروية وبحكمة وذلك من خلال الوضوح، إذ يرى في ذلك (زيدان 1989) أن أسلوب التشاور "يعترف فيه الوالدان بالفروق الفردية بين أبنائهم وتحل المواضيع أو الخلافات بالمناقشة الصريحة والتعاون".

وتلعب جلسات الحوار القاعدة الصلبة لتشاور الآباء وأبناءهم حول مواقف حياتهم، وتقديم الرأي الممزوج بالنصح والقرارات المصيرية الخاصة بهم، فيتسم بحرية التعبير واحترام الوالدين والرشاد مع الحجة والإقناع. وقد هدفت دراسة (Martinez & Garcia 2007) إلى الكشف عن تأثير أساليب المعاملة الأسرية على مفهوم الذات وتشكيل الهوية لدى المراهقين، و تكونت عينة الدراسة من 1456 مراهقاً من الذكور حيث أظهرت النتائج وجود علاقة بين نمط التنشئة وبين المجالات الأسرية والأكاديمية من حيث مفهوم الذات، ووجود علاقة ارتباطية بين نمط التنشئة وقيم نمو الذات و توكيد الهوية النفسية والقيم المحافظة، كما أشارت النتائج إلى أن المراهقين الذين تلقوا نمط تنشئة متساهل حصلوا على درجات أعلى على مقياس مفهوم الذات وتحقق الهوية النفسية مقارنة بالمراهقين الذين تلقوا نمط تنشئة تسلطي.²

7-7- أسلوب المساواة:

يتمثل أسلوب المساواة في تنشئة الأبناء وتربيتهم من خلال التعامل مع الكبير والصغير، الذكر والأنثى، ومع الأبناء جميعهم بنفس الفرص المتكافئة في المعاملة والعطاء والرعاية والتوجيه والاهتمام الموجه إليهم، كذلك

¹ - المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109، المجلد الثلاثون، أكتوبر 2020، ص 6.

² - المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109، المجلد الثلاثون، أكتوبر 2020، ص 13.

عدم التمييز بينهم بناء على نوع الولد أو سنه أو جنسه أو تربيته بين إخوته أو أي سبب عرضي آخر، ويقصد به عدم تمييز الآباء والأمهات في معاملتهم بين أطفالهم صغارا أو كبارا، ذكورا أو إناثا.¹

7-8- التشجيع والمكافأة:

يعتبر أسلوب التشجيع من الأساليب المهمة في بناء شخصية الأبناء حتى ينعموا بحياة هادئة مطمئنة، فكلمات التشجيع أو الثناء متى أعطيت للأطفال في حينها، جعلتهم يحسون بقيمتهم الذاتية وبتقديرهم لأنفسهم، ففي تنمي قدراتهم وتدفعهم إلى الأمام وإلى السلوك الإيجابي.

فقد قام عام 1995 Reed et derry berry بعرض أدلة تجريبية تشير إلى أن الوالدين اللذين قاما بتدريب وتشجيع أطفالهما أثناء اللحظات الانفعالية يكون لديهم أطفال ذوي قدرة عالية على التهدئة و الضبط الذاتي للمظاهر الفسيولوجية والقدرة على إرخاء أنفسهم، هؤلاء الأطفال عرفوا تحسنا في القدرة على تهدئة أنفسهم عندما كانوا مزعجين، وقدرتهم على تكوين علاقات أفضل وذلك من خلال تقدير معلمهم.

إن أسلوب المكافأة والتشجيع بصورها المتعددة من أنجع أساليب التربية على أن يكون واقعيًا متزنًا يراعي فيه العدل بين الأولاد، مع الانتباه والتيقظ، ويعتبر هذا الأسلوب من الأساليب التي لا يستغنى عنها المرابي في أي زمان ومكان، لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية والرغبة من الألم والشقاء، إن التشجيع والمكافأة يعززان الموقف الإيجابي ويرفعان إلى المزيد من السلوك المكافئ عليه.²

- وفي دراسة " لعبد العزيز عبد القادر المغيصب و أنور رياض عبد الرحيم والتي هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والقدرة الابتكارية، حيث تكونت العينة من 99 طالبة من طالبات

¹ - مقحوت فتيحة، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط - دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات - الجزائر العاصمة - رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم النفس الاجتماعي 2013/2014، ص 20.

² - مقحوت فتيحة، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط - دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات - الجزائر العاصمة - رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم النفس الاجتماعي 2013/2014، ص 80.

الصفين الثاني والثالث الثانوي بدولة قطر، وقد أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أساليب المعاملة الوالدية (التشجيع على الإنجاز-التسامح-الحماية الزائدة) و بين القدرة الابتكارية و مكوناتها¹.

9-7- أسلوب التعاطف الوالدي:

ويعني تعود الوالدين إظهار الحب للطفل، سواء باللفظ أو الفعل، ويستدل من هذا على أن إيجابيات هذا الأسلوب تتمثل في تشجيع الأبناء على المبادرة والإقدام بإثراء بيئتهم بالمعارف وإكسابهم من خبرات الراشدين ومهاراتهم معاييرهم وأخلاقهم التي يقرها ويقبلها المجتمع، كما أن تشجيع الأبناء على سلوكهم وتصرفاتهم وأعمالهم تعتبر خطوة أولى نحو تقدمهم، بالإضافة إلى تشجيعهم على الإنجاز من خلال مدحهم على أعمالهم وأفعالهم المقبولة اجتماعياً لمساعدتهم على وضع أسس صالحة لتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم خلال مراحلهم العمرية في الحياة، ومعاونتهم على اكتساب الضمير الاجتماعي.

10-7- أسلوب التوجيه للأفضل:

ويعني توجيه الطفل نحو النجاح في العمل والدراسة حتى يكون عضواً نافعا في المجتمع، له قيمته وكيانه، ويستخدم الآباء والأمهات أسلوب النصح والإرشاد لتوجيه أبنائهم بشكل متوسط ومعتدل، حيث يقوم الآباء والأمهات من خلال هذا الأسلوب بتوضيح أسباب السلوك الخاطئ الذي يحصل من أبنائهم، ثم يرشدونهم إلى طريق الصواب، لأن الكشف عن الأخطاء التي يقع فيها الأبناء ومعالجتها بشكل مستمر، تمكن من ترسيخ أساس وقائي في شخصية الأبناء، بحيث لا يتجاوزون المعايير الاجتماعية التي يقرها مجتمعهم².

ومن خلال هذا العرض نرى أن الأسلوب الأمثل في تربية الأبناء هو الاعتدال والرعاية وتحتاشي الإهمال والقسوة والتدليل الزائد، وتبغ أسلوب الحزم والتقبل حيث نقوم بتقبل المراهق والتسامح معه وفي نفس

¹ مقحوت فتيحة ، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط – دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات – الجزائر العاصمة - رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم النفس الاجتماعي 2013/2014، ص30.

² البليبي عبد الرحمان بن محمد بن سليمان، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي – دراسة ميدانية على طلاب المرحلة الثانوية بمدينة بريدة، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية ، تخصص الرعاية والصحة النفسية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، السعودية، 2008، ص33، 34.

الوقت نراجع أخطاءه مع مراعاة البعد عن التشدد معه، والمناقشة من أجل تعديل هذا الأسلوب الخاطيء، ومنحه قدراً من الاستقلالية والثقة بالنفس لمواجهة مواقف الحياة.

8- العوامل المؤثرة في أساليب المعاملة الوالدية:

- هناك العديد من العوامل التي قد تسهم في تأثير معاملة الأولياء لأبنائهم، حيث بينت نتائج دراسة لخطيب (2001) أن العنف الأسري ضد الطفل يتمثل في مجموعة من العوامل حيث جاءت الأسباب التي تتعلق بالوالدين في المرتبة الأولى وتليها الأسباب الاقتصادية أخيراً الأسباب الثقافية، كما أكدت ان الأطفال يتعرضون للعنف اللفظي بدرجة كبيرة يليها العنف البدني، ومن ثمة العنف النفسي وهو ما أكدته نتائج دراسة الغامدي (2009) على أن أكثر أسباب العنف الأسري شيوعاً هي التعرض للعقاب البدني والتدليل الزائد والحرمان من الترفيه، وأن أكثر مظاهره العنف البدني و يليه العنف الرمزي.

- بينما أشارت دراسة الحربي (2001) إلى أن التفكك الأسري من أهم العوامل المؤدية إلى العنف الأسري بنسبة (88.3%) ومن أهم هذه المشكلات الناتجة عنه هو الشعور بعدم الأمن بنسبة (85.7%)، بينما يرى كولجر و ريبارت (2001) أن الضغوط التي يتعرض لها الوالدين تؤثر على علاقتهم بأبنائهم، حيث تتفاعل الكثير من العوامل المشتركة في ذلك كالصعوبات الاقتصادية و زيادة العبء في العناية بالطفل المعاق أو المصاب بالأمراض المزمنة، كما أن هذه الضغوط قد تولد لديهم اضطرابات كالإكتئاب وفقدان القدرة على التحكم في انفعالاتهم، أما دراسة (الدعدي 2009) فقد أشارت إلى أن الضغوط النفسية والتوافق الأسري والزواجي تتأثر بدرجة إعاقه الأبناء، فكلما كانت الإعاقة شديدة كلما زاد الضغط النفسي وقلة التوافق النفسي.¹

9- دور الإرشاد الأسري في تحسين أنماط المعاملة الوالدية:

إن الغاية المنشودة من العملية الإرشادية للأسرة سواء الوالدين، الأبناء، الأقارب وغيرهم هي مساعدتهم على اكتساب سلوك أفضل في كيفية التعامل مع الأطفال، مما يساعد الطفل على تحقيق توافقه النفسي مع

¹ - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش ، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 145، 146.

ذاته ومع الآخرين وهو نوع من التوافق الأسري، والقدر من الاتزان والاستقرار العاطفي وحل المشكلات الأسرية بطريقة علمية.

لذا فان بيئة الطفل ترتبط بجوهر الأسرة وأفرادها، ومن خلال تحديد وتغيير بعض الأنماط السلوكية للأسرة والذي يستلزم وجود علاقة إرشاد نفسي للمجموعة ككل، وحتى يتحقق الهدف النهائي فإن من الضروري إلقاء الضوء على احتياجات الأسرة والطفل ويتم تصميم الإرشاد النفسي للأسرة وللوالدين لمساعدتهم على فهم كيف تؤثر سلوكياتهم ومشاعرهم على سلوك الأطفال، ويرى (Baumrind,1991) أن العملية الإرشادية " عملية تعليمية تفاعلية تواصلية تهدف إلى مساعدة الأفراد على تغيير سلوكهم وتصوراتهم وأسلوب عملهم، والهدف الجيد هو الذي ينصب على سلوك المتعلم ويكون قابلا للملاحظة والقياس والتقييم".

يهدف الإرشاد الأسري إلى تحقيق السعادة والاستقرار واستمرار الأسرة، بالتالي سعادة المجتمع واستقراره، وذلك بنشر وتعليم أصول الحياة الأسرية السليمة وأصول عملية التنشئة الاجتماعية للأولاد ووسائل تربيتهم، ورعاية نموهم والمساعدة على حل وعلاج المشكلات والاضطرابات الأسرية، وفي هذا تقوية وتحصين للأسرة ضد احتمال الاضطرابات والانهيار وتحقيق التوافق الأسري والصحة النفسية داخل الأسرة¹.

خاتمة:

إن الدور الأساسي للأسرة هو إعداد أفراد واثقين من بأنفسهم ومن بإمكاناتهم وقدراتهم، وجعلها ذخيرة يعتمدون عليها في تسير أمورهم، والإحساس بالأمن والاستقرار النفسي، وعدم الشعور بمشاعر الدونية والسوداوية في المواقف الاجتماعية المختلفة التي تصادفهم، وعليه تعد البيئة الأسرية المرجع الأول والموضوعي لأغلب سلوكيات الأبناء، لذلك نؤكد من خلال هذه الورقة البحثية على الارتباط الوثيق بين المعاملة الوالدية والصحة النفسية للأبناء خاصة في مرحلة المراهقة، ومدى تأثيرها على مستوى ثقتهم بأنفسهم ثم توافقهم النفسي والاجتماعي ككل.

¹ - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021، ص 144، 145.

التوصيات:

- الاهتمام بشريحة المراهقين باعتبارها الميراث الخام لبناء المجتمع، بتعزيز ثقتهم بأنفسهم وإرساء قواعد التوافق النفسي.
- القيام ببرامج إرشادية تهدف إلى تعديل أساليب المعاملة الوالدية لدى الآباء وتنمية اتجاهاتهم نحو الأساليب الإيجابية لتمهيد الطريق نحو صحة نفسية أفضل.
- القيام بحملات توعوية إرشادية بأهمية المناخ الأسري الإيجابي داخل الحياة العائلية، وتبيان أهمية أنماط المعاملة الوالدية في ترسيخ مبادئ الأمن النفسي لدى الأبناء.

قائمة المراجع:

1. حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4.
2. فيكرام باتل، الصحة النفسية للجميع، ورشة الموارد العربية، بيروت لبنان، 2008، الطبعة العربية المعدلة الأولى.
3. حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2005، ط4.
4. عبد العظيم عبد الغني المظفر، 2019، الخصائص الانفعالية للمراهق: الأسرة والمجتمع، المرجع الإلكتروني للمعلومة، <https://almerja.com/reading.php?idm=124363> اليوم: 2025 /11/4 : 23 : 22 (سا)
5. البليهي عبد الرحمان بن محمد بن سليمان، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي - دراسة ميدانية على طلاب المرحلة الثانوية بمدينة بريدة، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، تخصص الرعاية والصحة النفسية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، السعودية، 2008.

6. مقحوت فتيحة ، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط – دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات – الجزائر العاصمة - رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم النفس الاجتماعي 2014/2013.
7. المجلة المصرية للدراسات النفسية، الطماوي عماد الدين ابراهيم على محمد ، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى الأبناء المراهقين، العدد 109 ، المجلد الثلاثون ، أكتوبر 2020 .
8. مجلة التمكين الاجتماعي، قندوسي سعدية، مرحلة المراهقة نظرياتها وخصائصها، المجلد 09، العدد 04، ديسمبر 2021.
9. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، كاهنة حاج علي و الحسين حماش ، أهمية أساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، المجلد 14، العدد 4، 2021.
10. مجلة دراسات نفسية وتربوية، مواس جميلة ، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها المراهق وفق المقاربة النسقية، جامعة البليدة 2 ، المجلد 08 ، العدد 02 ، نوفمبر 2022.
11. المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، رمانة عيسى و فقير تقي الدين ، دور المعاملة الوالدية في تعزيز الثقة بالنفس لدى المراهق المتمدرس -دراسة ميدانية ببعض ثانويات مدينة المدية .
12. <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/adolescent-mental-health> اليوم:
- 2025/11/15 على الساعة: 16:15



DOI Prefix:10.33685/1316

جميع الحقوق محفوظة © لمركز جيل البحث العلمي